ثورة بوحمارة

1902 - 1909

كريدية ابراهيم

رقـم الايـداع القانوني 86/1

ثـــورة بو حمـــــارة

1902 ـ 1909

كريديـــة ابراهيـــم

فهرس

تـقـــديـــم

لم يكد يمر شهر ونيف على صدور محاولتي « **السياسة البربرية للحماية الفرنسية في المغرب** » حتى تجمعت لدي حزمة كبيرة من رسائل قراءها ، وهم بين شباب وكهول ، ومتخصصين ومثقفين ، رسائل تثني على المجهود ، وتجل طريقة البحث المعتمدة في نظرها على **أقل ما يمكن من المعلومات والسرد وأكثر ما يمكن من التحليل والنفاذية** ، وتحث صاحبه على العطاء المتواصل المسترسل ، وتستخبره عن جوانب من تاريخ بلادنا .

واذا كان لهذه الالتفاتة من أثر ، فانني لا أنكر أنها اشعرتني بنشوة كبيرة غامرة ، وبددت كل مشاعر الخوف والحيرة والتردد ، التي كانت تخنقني كلما فكرت في عمل ثقافي آخر ، وحفزتني على مواصلة العطاء ، وباختصار فان نجاح محاولتي المذكورة طوق عنقـي بمسؤولية لم أكن أتوقعها بهـذا الحجم العظيم ، وهي مسؤوليـة المساهمة في توعية أبناء بلدي بجوانـب من تاريخه الزاخر بفيض كبير من الاحداث والعضات والقوانين .

وفي هذا الباب أتقدم الى قراءي الكرام ببحث جديد حول ثورة الجيلاني الزرهوني المشهور **بابي حمارة** ، وهي فتنة عاتية دوخت المخزن نحو سبع سنوات ، حركتها اليد الاستعماريـة ، وزودتها بالمال والسلاح ، فأصلـت بسعيرها المخزن الجزء الشمالي الشرقي من المغرب ، لتصيب البلاد بعدة بلايا كان فيها حتف استقلالها وخضوعها للمستعمر الجشع الماكر .

وتعكس هذه الفتنة في حقيقتها وأبعادها وظروفها مرحلة مصيرية مـن تاريخ المغرب ، مرحلة اتسمت بتصاعـد سطوة التغلغل الاجنبي في البـلاد

واذا نجحت في ان تحيا مدة سبع سنوات من 1902 الى 1909 فلان المخزن كان مشغولا عنها وبدون جدوى في قص أصابيع الاخطبوط الاستعماري الذي تغلغل في كل جوانب الحياة المغربية ، وكان محكوما عليها بالفشل والافول منذ ميلادها لانها كانت تقوم على الدجل والاغتصاب والعمالة للاجنبي المتحفز باستقلال الوطن .

وقد تناولت هذه الفتنة باكثر ما يمكن من التفصيل والتحليل حتى يدرك القاريء المهتم حيثيات الظرفية التاريخية التي افرزتها ويدرك حقيقة دعايتها ويقيس مراميها وأبعادها والله من وراء القصد .

سيدي سليمان 5 ـ 1 ـ 1986

كريديـــة ابراهيـــم

الفصـــــل الاول :

ظروف قيام ثورة بوحمارة

نجح السلطان مولاي الحسن الاول وعلى نحو مدهش في صيانة هيبة دولته من لوثة الارتماء في احضان النفوذ الاجنبي والخضوع لارادته ، في وقت بلغ تسربه في المغرب درجة كبيرة من الخطورة ، فقد كان السلطان المذكور منذ ان تسلم عرش المغرب في سنة 1873 وحتى وفاته سنة 1894 ، يسعى وبكل حزم ومثابرة ويقظة الى حفظ تماسك امته وصيانة وحدة وسيادة بلاده ، والتصدي لكل المناورات والدسائس الاستعمارية التي تحاك ضد دولته ، **والتي ما فتيء أوارها يستعر منذ هزيمة المغرب في معركتي ايسلي** 1844 وتطوان سنة 1860 ، فقام باحداث أجهزة حكومية لم يكن لها وجود قبل عهده ، حاول من خلالها رصد حركات الدول الاستعمارية وانشطتها في داخل المغرب وخارجه لمواجهتها وافشال مراميها التي كانت تنزع الى تمزيق وحدة المغرب واستعماره ثم ليعتمد عليها في لعب ورقة « **سياسة التوازن** » التي تقوم على عدم تفضيل دولة أجنبية على أخرى في نيل **الامتيازات بالمغرب ، والعمل بمبدأ المراوغة اللبقة في تسويف تحقيق** رغباتها ومطالبها ، ثم تذكية نار التنافس بينها من أجل الانفراد بالمغرب حتى تستمر مواجهاتها الدبلوماسية التي كانت تنذر من حين لاخر بقيام صراع مسلح بين بعضها ، وفي ذلك كله ضمان لاستقلال المغرب وعزة ونفوذ لدولته .

وهذه الاجهزة الحكومية المشار اليها هي « **وزير الخارجية** » (1) وكان يعرف « **بوزير البحر** » أو « **وزير الشؤون البرانية** » وكان مكلفا « **بالنظر في**

---

1) كانت الحكومة المغربية حتى النصف الثاني من القرن 19 ، لا تتوفر الا على وزير واحد كان مستشارا وعونا للسلطان ، وفي عهد السلطانين محمد الرابع وابنه الحسن الاول صارت الحكومة المغربية تتكون من خمس وزارات هي الصدارة اي الوزارة التي كانت موجودة من قبل ، ووزارة الحرب أي وزارة الدفاع وقائم بها يعرف « بالعلاف الكبير » ، ووزارة الشكاية أي وزارة العدل وهاتين الوزارتين احدثهما السلطان محمد الرابع ، ثم وزارة المالية ويعرف صاحبها بامين الامناء ووزارة الخارجية وقد احدثهما السلطان الحسن الاول .

أمور المحميين ، والوساطة بين السلطان وبين سفراء الدول وعقد الشروط والمعاهدات بينه وبينهم ، وكتابة الرسائل اليهم واصدار الاوامر للعمال فيما يتعلق بايالانهم من دعاوي أهل الحماية ومباشرة أمر كل وافد أجنبي » . ثم « **النائب السلطاني** » وقد عينه بطنجة التي أصبحت تعرف « **بدار النيابة** » حيث مستقر البعثات الدبلوماسية الممثلة لبلدانها في المغرب ، وكانت مهمته « **مفاوضة نواب الدول الاجنبية في عين المكان في القضايا التي بينهم وبين المغـرب** » (2) .

وحتى يقطع السلطان مولاى الحسن دابراى تحرش اجنبي ببلاد المغرب قام بتجديد الجيش الذي ابانت الحروب الاستعمارية القريبة من عهده ، عجز تنظيمه وتخلف تجهيزه ، وانشـأ ترسانة عسكرية « **لكي يتمكن مـن الصمود أمام الجيوش الاوروبية** » (3) ، ولكي ينشر الامن والطمأنينة فـي ربوع مملكته . واستقدم مدربين عسكريين فرنسيين واسبانيين والمانيين وانجليز وايطاليين ، وتعدد مصادر هؤلاءالتقنين يؤكد حرص المولى الحسن على تطبيق سياسة التوازن حتى لا يقع تحت هيمنة دولة عظمى واحدة ، **وبعد استيفاء غرضه منهم طلب من حكوماتهم سحبهم (4) ، وبفضل هذه الجهود صار للمغرب جيش نظامي تعداده 25 الف جندي تقريبا ، كان السلطان « يباشر عرضه وترتيبه بنفسه »** (5) ، ويشكل هذا الجيش الوطني النظامي والجرار خروجا عن المالوف في تاريخ المغرب وهو بذلك يعد بحق تنظيمـا ثوريـا (6) .

وصار للمغرب عدد من مصانع السلاح والذخيرة اشهرها « **دار المكينة** » بفاس ، وأصبح الجيش يتوفر على بعض الاسلحة العصرية استجلبت من دول أوربية مختلفة .

---

2) محمد المنوني مظاهر يقظة المغرب الحديث الجزء الاول الرباط ـ 1973 ص 34
3) البير عياش المغرب والاستعمـار ترجمـة عبد القادر الشاوي وصحبه ، سلسلة معرفـة الممارسة البيضاء ـ 1985 ص 64
4) محمد المنوني مرجع سابق ص 61
5) المرجع السابق نفس الصفحة
6) Jean Brignon وآخرون Histoire du Maroc باريس ـ 1967 ص 135

ثم شرع السلطان في تكوين نواة لقوة بحرية تكون مهمتها الذوذ عن الحدود البحرية من الهجمات الاستعمارية المحتملة ، ومن أشهر سفن الاسطول الحربي الفتي نذكر سفينة « **الحسني** » ، وسفينة « **بشير الاسلام بخوافق الاعلام** » المشهورة باسم « **البشير** » (7) ، وبفضل هذه التدابير الدبلوماسية والعسكرية التي ليس لها من هدف سوى تطويق النفوذ الاجنبي ، تمكن الحسن الاول من الحد من الاخطار الاستعمارية المحدقة بهيبة دولته ، فحد من انتشار الحماية القنصلية رغم ان مؤتمر مدريد 1880 لم يستجب لرغبته بحصرها (8) ، ورفض الترخيص للاجانب بشراء العقار رغم ان مؤتمر مدريد اجاز ذلك ، وافشل مساعي الانجليز بفرض حمايتهم على جزء من المغرب

---

7) محمد المنوني مرجع سابق ص 63

8) الحماية القنصلية أو الدبلوماسية هي نظام سياسي وقضائي فيه يمنح الممثلون الدبلوماسيون والقنصليون المعتمدون في بلد ما حماية دولهم لرعاياه ، فيصيرون وهم يحملون جنسيته ويقيمون باستمرار فوق ارضه غير خاضعين لقوانينه ولا ملزمين باداء ما يجب على سائر مواطنيهم اداؤه من ضرائب والقيام بما يقومون به من خدمات وطنية ،،، وهو نظام ،،، يتنافى مع سيادة الدولة وانبساط سلطاتها وقوة قوانينها وأحكاما التي يجب أن تطبق على جميع المقيمين فوق ارضها سواء كانوا وطنيين اصلاء أو أجانب دخلاء ،،، »
والغريب أن هذا الامتياز أعطى للاجانب في البداية من باب المجاملة والاكرام ولم تكن تشكل خطرا على سيادة المغرب لضعف التبادل التجاري بين المغرب والدول الاوربية ، ومن المعاهدات الاولى التي خولت الاجانب حق حماية الرعايا المغاربة نذكر المعاهدة مع السويد سنة 1763 ، والمعاهدة المبرمة مع فرنسا سنة 1767 والمعاهدة المبرمة مع بريطانيا سنة 1856 وهذه المعاهدات تخول للدول المعنية حق اختيار بعض المغاربة وحمايتهم ليكونوا معاونين لهم في شكل تراجمة وسماسرة وحرس وخدم ،، او ليكونوا مخالطين أى مشتركين معهم في أعمال فلاحية .

وبعد هزيمة المغرب في معركة تطوان سنة 1860 صارت الحماية القنصلية « كارثة على المغرب والمغاربة » كما يقول الاستاذ محمد المنوني ، وصارت اشبه بثعبان قوى « لم يفتأ يلف جسم المغرب ويضغط عليه بقوة ويغرز فيه انيابه السامة حتى انهك قوته واعجزه عن كل مقاومة ودفاع » كما يقول الاستاذ عبد الوهاب بنمنصور ، فقد ازالت هذه النكسة « حجاب الهيبة عن بلاد المغرب » كما يقول الاستاذ احمد بن خالد الناصرى ، فوسع الممثلون الاجانب من نطاق حماياتهم لتشمل عددا غفيرا من المغاربة في المدن والبوادى الامر الذى افزع الحكومة المغربية وجعل السلطان مولاى الحسن الاول يقول « ان ادارتنا تكاد لا تجد في البلاد من هو باق تحت سلطانها من كثرة ما منحته الدول الاجنبية من حمايات غير مشروعة » .

وقد كان السلطان المذكور يرى فيها « خراب المغرب » و « العقبة الكبرى التي تحول دون دون نهوضه وتقدمه » ومصدر الخلافات التي تنشا بين بلده وبين الدول الاوربية ،

حوالي سنة 1890 واجبرهم على اخلاء مرسى طرفاية (9) ، وتصدى بقـــوة لفرنسا التي كانت تتحرش بحدود المغرب محاولة ابتلاع توات وفكيك وشنقيط فالزمها على تأجيل تنفيذ مخططها حتى بعد وفاته .

وبموت المولى الحسن الاول افتقد المغرب ـ وحتى ابرام صك الحماية سنة 1912 ـ الشخصية القوية والحازمة اليقظة ، ودخلت البلاد نهاية عهـد التنافس الاجنبي ليبدأ عهد التوفيـق والتراضي بين الامبرياليات المتربصـة بالمغرب ، فقد اختفى الرجل الذكي واللبق الذي كان يحسن لعب ورقة التوازن ، ليترك عرشه لشخصية غير متمرسة يحيط بها مجموعة من الوصوليين ، لم تنبث ان سقطت في شراك النفوذ الاجنبي الامر الذي سيؤدي في النهاية الى

فقد أدرك انها :

* انها وسيلة لتقوية النفوذ الاجنبي في المغرب بالاكثار من عملاءه والمشايعين له من المغاربة مما يسمح للدول الاجنبية بالتدخل الصريح في شؤونه الداخلية بدعوى احقاق حقوق المحميين المغاربة .
* انها وسيلة لضرب السلطة المغربية ومنعها من النفاذ على قسم من الرعية لانهم محميون ، والمحمي له ان يرتكب ما شاء من المظالم دون أن يخشى عقاب عدالة بلاده « لان الحماية القنصلية غلت أيدي الولاة من عمال وقضاة فمن دونهم عن التدخل في شؤون المحميين وعقدت الاجراءات التي تتبع للتحقيق معهم وزجرهم الزجر المناسب في حالة ثبوت ظلمهم لغيرهم » .
* ان الحماية القنصلية بجشمها وبشاعتها وتطاولها على السيادة المغربية جعلت سلاطين المغرب ومفكريه يحجمون عن الاخذ بأسباب مدينة أوربا ، ويرون فيها خطرا مبينا على قيمه واستقلاله فأراد أن يستأصل هذا الداء الذي ينهش هيبة الدولة وينضب مواردها ويجعل المغاربة ينظرون بمنظار أسود لكل اصلاح يكون على منوال الغرب .

وقد بذل جهودا دبلوماسية لتضييق الخناق على الحماية القنصلية منها توصياته التسعة عشرة التي تضمنتها مذكرته الى نواب الدول الاوربية بطنجة ، ثم الدعوة الى عقد مؤتمر مدريد سنة 1880 من 19 ماى الى 3 يوليوز على امتداد سنة عشرة جلسة . وصدرت مقررات المؤتمر وكل ما فعلته انها أقرت وضعية كان المغرب يعتبرها مرفوضة وغير مشروعة وزاد معضلة اخرى وهو أنه اعترف بحق الاجانب في شراء العقار في المغرب على اختلاف أنواعه .

9) منح أحد رؤوساء القبائل بمنطقة طرفاية امتيازا لشركة انجليزية ببناء مرسى ، وذلك دون سابق اذن أو علم من حكومة المخزن ، وكانت انجلترا تأمل في فتح نقطة تجارية يمتد نفوذها حتى وسط افريقيا وبها يتخلص من الضرائب الجمركية المفروضة في ميناء الصويرة ، وقد قاوم السلطان مولاى الحسن هذا التسرب الاجنبي بقوة والزم بريطانيا على اخلاء هذه النقطة من الساحل المغربي ، وتم الاتفاق على تعويض تكاليف بناء المرسى وجاء في الشرط الاول منه : « اذا اشترى المخزن زينة المحل المذكور من الكبانية المذكورة لا يبقى كلام لاحد في الاراضي التي من وادى درعة الى راس بوخادورا المعروف بالطرفايا المذكورة وكذلك فيما فوق هذا المحل من الاراضي لكون ذلك كله حساب أرض المغرب » .

نسف هيبة السلطان وحسر نفوذه علما بان سلطته تقوم على الهيبة والنفوذ الادبي أكثر مما تقوم على القوة والبطش (10) والى « **خلق الفرصة المثالية** للمغامرين والغتصبين » (11) .

فلم يباشر خلفه السلطان مولاي عبد العزيز من السلطة سوى الاسم (12) وذلك طول مدة وصاية الوزير أحمد بن موسى الذي استبد «**بامر الملك كله**»(13) وصار وحده « **المبدىء المعيد ، والمصدر المورد ، لا تكون كبيرة ولا صغيرة الا باذنه** » . (14) ، وكان يدخل على السلطان الطفل « **فيلقنه كل ما يصنعه ، فيريه كيف يجيب كل طلب قدم له وكيف يوقعه ، بعبارات يحفظها له ثم كيف يلاقى فلانا وفلانا كل على حسب مكانته** » (15) ، ومع ذلك فقد كان الوزير باأحمد « **شعلة في الذكاء والنباهة ، سياسيا آية في الدهاء وحسن التدبير** ،،، **ذا حزم وعزم وثبات** » (16) ، يشبه السلطان مولاى الحسن الاول « **في تنظيمه وفي اشتغاله بالجد فلم يكن يعرف عنه الا الخدمة والعمل** ،،، **لا يريح نفسه** » (17) ، وقد وقف نفس موقف السلطان مولاى الحسن من

---

10) محمد خير فارس المسألة المغربية 1900 ـ 1912 معهد الدراسات العربية جامعة الدول العربية ـ القاهرة ـ 1961 ص 164

11) روم لاندو تاريخ المغرب في القرن العشرين ترجمة نقولا زيادة الطبعة الثانية ببيروت 1980 ص 63 .

12) توفي السلطان مولاى الحسن سنة 1894 باولاد زيدوح من اقليم بني ملال حيث كان يقوم بحركة ، وقد اخفى وزيره الصدر أحمد بن موسى خبر موته ، وليعلن بعد أيام بيعته للمولى عبد العزيز أصغر أبناء السلطان والذى كان يبلغ من العمر يومها أربعة عشر سنة بدعوى أن السلطان المتوفى قد أوصاه بذلك ، وقام بعد ذلك باعتقال ابنه البكر مولاى أحمد الذي كان مرشحا لخلافة أبيه ، وسير عدة حملات تأديبية لقبائل الرحامنة وتادلة التي تشبثت ببيعة مولاى أحمد .
وقد نصب الوزير أحمد بن موسى المعروف ببا أحمد نفسه وصيا على السلطان القاصر ليستبد بالامر ويرضي طموحه الى التسلط .

13) مولاى عبد الرحمان بن زيدان اتحاف اعلام الناس بجمال اخبار حاضرة مكناس الجزء الاول الطبعة الاولى ـ الرباط ـ 1929 ص 377

14) محمد المختار السوسي حول مائدة الغراء الطبعة الاولى ـ الرباط 1983 ص 37 .

15) المرجع السابق نفس الصفحة

16) مولاى عبد الرحمان بن زيدان مرجع سابق ص 372

17) محمد المختار السوسي مرجع سابق ص 39 .

الاطماع الاجنبية فاستغل تنافسها ايما استغلال وبذلك يعد عهده استمرار للعهـد الحسنـي .

حتى اذا توفي الوزير الوصي المستبد سنة 1900 ، وجد السلطان الشاب ذو الثمانيـة عشر سنة ، نفسه خـاوي الوفاض لا يعرف شيئا عن ختـل السياسة ودهاءها ، ولا يدري باي سـلاح يواجه المحيط الامبريالـي الذي يتربص ببلده الدوائر ، فقد وجد نفسه بعد نزوح ظل باأحمد أمام وزارة مقسمة الى شيع ، تعج بالوصوليين والانتهازيين ، وهم يخشون ان تمس مصالحهم **الخاصة بأي خدش ، وشبه متفقين على ضرورة عزل السلطان الشاب غير المتمرس على أعمال الحكم ، والدفع به الى اقتراف أعمال تهد من هيبة سلطانه** وتفنى مدخرات خزينة بلاده .

فقد كان المولى عبد العزيز ــ بحكم فتوة عمره وتربيته كابن مدلل من أبيه ومن حريم القصر ــ رقيق القلب (18) ، ذو نية طيبة وسنداجة كبيرة (19) عفيفا ، محبا للهو ممعنا فيـــه ، كريما (20) ، ذكيا متعطشـــا الى المعرفـــة والاصلاح (12) ، وكانت معلوماته « **من الضؤولة في مكان لتفريط والده فيه ابان تعليمه** (22) ثم « **كانت الميوعة في الارادة مصاحبة له في كل عهده** » (23) « **وكان قليل الميل والاستعداد للحرب وكان هذا نقصا خطيرا بالنسبة للمغرب فقد كان على السلطان أن يكون عالما وجنديا ، ولم يكن عبد العزيز لا هذا ولا ذاك** » (24) .

ورغم هذه الصفات التي لا نعتبرها مثالب لان أكثرها مرتبط بالمرحلة العمرية التي يجتازها المولى عبد العزيز ، وبانعدام التوجيه السياسي بسبب أنانية بطانته وانتهازيتها ، فان الظرفية الدولية التي وجد فيها كانت تجعل من قوته ضعفا ومن عزمه تهورا حتى وان اوتي قوة الحزم والعزم والتدبير وهذا يصـدق على خلفِـه المولى عبد الحفيـظ ، فهذه الظرفية كانت تتسـم بمستجدات دبلوماسية جعلت المغرب يدخل سرداب العزلة منتظرا مصيره

---

18) المرجع السابق ص 40
19) البير عياش مرجع سابق ص 70 .
20) محمد المختار السوسي مرجع سابق ص 36
21) Jean Brignon مرجع سابق ص 323
22) محمد المختار السوسي مرجع سابق ص 36
23) المرجع السابق نفس الصفحة
24) قولة لـ Bernar في كتابه « Le Maroc » نقلا عن محمد خير فارس مرجع سابق ص 117 .

المحتوم الذي ستقرره أوربا ، فقد باشرت فرنسا عندئذ سياسة تهدف الى صرف اهتمام الدول الاوربية الاستعمارية عن المغرب لتنفرد به ، فقد عزز ديلكاسيه Déclassé وزير خارجيتها تحالف بلاده مع روسيا ، وشرع يرصف طريق التفاهم مع بريطانيا واسبانيا وايطاليا وألمانيا .

فاستقلال المغرب في العهد العزيزي دخل في مرحلة النزع الاخير ، وقد عجل بذلك اقتراف المخزن لاعمال اوقعته في احضان الامبريالية وجعلته يفقد هيبته ونفوذه ويخلي السبيل للادعياء والمغتصبين وهذا هو بيت قصيدنا من هذا الفصل ، وسوف نذكر بعض هذه الاعمال بتصنيفها الى :

1 ـ قيام السلطان بأعمال تنتقص من هيبته بايعاز من بطانته حتى تستبد بطانة المولى عبد العزيز بالامر دونه ، وتثرى بالمكاسب ، قررت عزل السلطان الشاب وابعاده ما أمكن عن سدة الحكم ، فرأت أن تعزز وتستغل حاجته الطفلية الى اللعب والتسلية واعجابه الى حد الانبهار بانتاج المدنية الاوربية لتغرقه بمساعدة بعض المستشارين الاوربيين أمثال ماك لين Mac Lean وهاريس Harris وبامرة الوزير المنبهي ببعض المصنوعات الاوربية المدهشة « **حتى تدخل السرور الى قلبه ،،، وتستأثر بكل اهتمامه دون شؤون الدولة ، ويجب ان يطلب الى أوربا أن تزيد في هذه التي تستأثر بانتباهه** » (25) ، فاصبح قصره « **أشبه ببازار** Bazar **تراكمت فيه بضائع دولية رديئة اشتريت باسعار غالية** » (26) ، بضائع تعتبر من « **توافه المدينة الغربية ومظاهر بذخها** » (27) ، وتتمثل في الدراجات والسيارات والفونوغرافات والآت التصوير ، والمرايا ، والالعاب النارية ، والآت قص الاعشاب وولاعات السجاير وبدل عسكرية ولوازم لعبة التنس وزوارق ،،، وكانت هذه الاشياء تستجلب بكميات كبيرة وتبعثر في القصر حتى تتلف، فيعاود في طلبها من أوربا حتى يغتني التجار الاوربيون الوسطاء والذين كانوا يزيدون في ثمنها مستغلين كرمه ، كما أحيط المولى عبد العزيز بمجموعة من راكبي الدراجات والمصورين والسائقين وصانعي الصواريخ النارية ولاعبي التنس ليدربوه ، وقد اندفع السلطان الشاب في هذا الطريق بصورة فاضحة حتى لقد اخذت له عدة صور فوتوغرافية بلباس جنرال انجليزي أو روسي أو هو متجرد من ثيابه التقليدية يلعب البولو أو التنس وكان اليهود يبيعون هذه الصور في أنحاء المغرب (28) .

---

25) روم لاندو مرجع سابق ص 62 .

26) قولة للمؤرخ جوليان نقلا عن محمد خير فارس ص 119

27) روم لاندو مرجع سابق ص 62

28) محمد خير فارس مرجع سابق ص 119

وقد أدت هذه المؤامرة غرضين اثنين أولهما النيل من سمعة وهيبة السلطان وهو امير المؤمنين حتى ان كثيرا من أفراد الشعب تهربوا من تصديق هذه الاعمال التي كان يقذف صاحبها في ذلك العصر بالكفر (29) وادعت ان ان الاوربيين اختطفوا المولى عبد العزيز الحقيقي وأحلوا محله شبيها له Sosie (30) ، في حين اذيع في جهات أخرى من المملكة ومنها بعض الجهات الجبلية البعيدة ان السلطان صار نصرانيا (31) ، وثانيهما الشروع في افناء مدخرات خزينة الدولة ، وهو الذي ورث من العهد الحسني خزائن مترعة بالملايين من الريالات واللويز الذهبي (32) .

وبذلك ترك الوزراء الانتهازيون والمستشارون الاوربيون والتجار الجشعون واليهود المتآمرون الحاقدون السلطان « بائسا محطما وسط بلاد ثائرة بخزينة فارغة يحمل كل اوزار أغلاطهم » (33) .

2 ـ عجز السلطان عن حماية الحدود وصيانة الوحدة الترابية

بعد الهزيمة الساحقة للمغرب في معركة ايسلي سنة 1844 أمام الجيش الاستعماري الفرنسي المنطلق من الجزائر بقيادة بيجو Bugeaud ، والتي كالت للمغرب ضربة قاصمة اضاع بها حظوته العسكرية التي ظلت مرهوبة منذ ما يزيد عن القرنين (34)، فرض على المغرب توقيع معاهدة طنجة سنة 1844 ، وقد نص بندها الخامس على ابقاء الحدود المغربية ـ الجزائرية على ما كانت عليه أيام الحكم التركي ، على ان يجرى الاتفاق بشأنها في مفاوضات منفصلة وبعد ست أشهر من اتفاقية طنجة تم توقيع اتفاقية ثانية هي اتفاقية لالة مغنية سنة 1845 وذلك من أجل البث في مسألة الحدود التي اشارت اليها الاتفاقية الاولى ، وقد قسمت الحدود بمقتضى هذه الاتفاقية الى ثلاثة أقسام :

القسم الاول : تم تحديده من مصب وادي كيس في البحر الابيض المتوسط الى ثنية الساسي على بعد 150 كلم جنوبا ، وقد رسمت الحدود في هذه

---

29) محمد المختار السوسي مرجع سابق ص 31
30) جرمان عياش جذور حرب الريف حاشية ص 129
31) Ch. A. Julien Le Maroc face aux impérial. Jeune Afrique ص 41
32) محمد المختار السوسي مرجع سابق ص 40
33) محمد خير فارس مرجع سابق ص 119
34) Jean Brignon مرجع سابق ص 285

المنطقة على شكل خط مستقيم تقريبا ، وبهذا التحديد فقد المغرب أراضيه الواقعة غرب وادي تافنا .

القسم الثاني : يمتد من ثنية الساسي الى فكيك بالصحراء ، لم تعين حدوده بدقة ، وفيه تم تعيين القبائل والقرى التابعة لكلا الطرفين ، فأصبح أكثر الاقسام اثارة للنزاعات لان بعض القبائل التي كانت تتألف من جماعات كبيرة ، كانت بطونها موزعة بين المنطقة المغربية والمنطقة الفرنسية مثل قبائل ولد سيدي الشيخ وبني سناسن ، وفي هذا القسم اغتصب الطرف الفرنسي كثيرا من القرى والقبائل المغربية وضمها الى الجزائر .

القسم الثالث : يقع جنوب فكيك ، اصر الطرف الفرنسي على الا يعين حدوده وقبائله بدعوى أنه صحراء لا حياة فيها ، واشبه ببحر وبذلك فهو يعتبر أرضا مشاعة للطرفين وليست تابعة لاحد (35) .

وتعد هذه الاتفاقية في رأي الكثير من المؤرخين اتفاقية جائرة سلبت المغرب من بعض أراضيه لتضم الى مستعمرة فرنسا في الجزائر فكانت « **أول وثيقة تتحدث عن بداية فقد المغرب لجزء من أراضيه وبالتالي استقلاله** » (36) وتعد أخطر معاهدة في تاريخ العلاقات بين الدولتين المغربية والفرنسية فهي بدلا من أن تحل مشكلة الحدود عقدتها ، اذ لم تضع حدودا ثابتة وواضحة فتركت بابا واسعا للمشاكل (37) .

ان عدم تحديد الحدود بكيفية دقيقة كان يتجاوب مع الخطط الكولونيالية الفرنسية الهادفة الى احتلال المغرب ودمجه في امبراطوريتها المترامية

---

35) مقال اتفاقية لالة مغنية للاستاذ الملكي المالكي مجلة تاريخ المغرب تصدرها جمعية الامتداد الثقافي العدد الاول ـ 1981 ص 18 ثم مرجع الدكتور صلاح العقاد المغرب العربي الطبعة الثالثة 1969 ص 224 و 225

36) مجلة تاريخ المغرب المرجع السابق ص 89

37) محمد خير فارس مرجع سابق ص 70 .

الاطراف في شمال غرب افريقيا ، وبهذا الشأن كان يتجاذب فرنسا الاستعمارية اتجاهان رئيسيان ، واذا كانا مختلفين في الظاهر فانهما متكاملين في العمق ، وسيحكمان تصرفات فرنسا في مشاكل الحدود وهذان الاتجاهان همـا : (38)

الاتجاه الاول : ويمثله العسكريون في الجزائر ، ويدعو الى القيام بعمل عسكري حاسم وفعال في منطقة الحدود لمد النفوذ الفرنسي حتى نهر ملوية وفكيك ، والى وضع حدود دقيقة جنوب كنية الساسي ، ثم القيام بتوزيع القبائل بشكل يضمن تفادي تجدد الحوادث والمشاكل .

وكان انصار هذا الاتجاه يسعون الى القاء كامل المسؤولية في كل ما يقع على الحدود من حوادث على عاتق المغرب وحده وبالتالي فتح باب فرص جديدة تتيح للجيش الاستعماري التحرك من جديد لاقتناص أجزاء من تراب المغرب باسم الامن والنظام .

الاتجاه الثاني : يدعو الى الابقاء على الحدود كما هي دون تخطيط او تحديد ورغم ان أصول هذا الاتجاه توجد في معاهدة لالة مغنية ، الا ان هذا الاتجاه تبلور أكثر في نهاية القرن 19 ، ولعل أبرز ممثلي هذا الاتجاه هـــو وزير الخارجية رانجتون الذي كان يقول : **« لا ينبغي الاعتراف بحق السلطان المغربي على أراض لا يملك فيها سوى سلطة اسمية ، أراض يمكننا في يوم ما ان نطالب بها خاصة اذا انتهت دراسة الخط الحديدي عبر الصحراء الى نتائج عملية »** .

وتنفيذ خطة هذا الاتجاه تكسب فرنسا نجاحا مزدوجا فمن ناحية يتيح لفرنسا امكانية التوغل داخل التراب المغربي وقضم أطراف منه دون أن تخشى ردود فعل الدول الاستعمارية ، ما دام من الصعب اعتبار هذا العمل اعتداء

---

38) المرابط محمد العياشي الموقف الفرنسي الاسباني ازاء المغرب في الربع الاول من القرن 20 بحث جامعي غير منشور كلية الاداب بالرباط 1976 ص 8

صارخا على سيادة المغرب لانعدام وجود حدود دقيقة ثابتة بينه وبين الجزائر.
ومن ناحية ثانية فان فرنسا سوف تستفيذ من « **حق المطاردة** » وهو حق معترف بممارسته للطرفين المغربي والفرنسي ، الا أن فرنسا ظلت المستفيذة الوحيدة منه بل أكثر من هذا ستتوسع في استخدامه بحيث لم يعد يشمل فقط القبائل الجزائرية الثائرة ضد الاستعمار بل أصبح يشمل القبائل المغربية وعلى أرض المغرب .

وفي سنة 1878 عندما ظهر مشروع المهندس دوبونشيل عن امكانية مد سكة حديد تربط بين الجزائر وتمبوكتو عبر الصحراء ، فان فرنسا شرعت تعد الترتيبات للتوغل في اقليم توات الا أنها ارجأت مشروعها لان هذه الفترة تميزت باحتدام التنافس بين الدول الاستعمارية للسيطرة على ما تبقى من مناطق حرة ثم ان مركزها كان في سنة 1883 في أضعف حالاته ، فقد كانت تعيش في عزلة دولية شنيعة إذ كانت تواجه احلافا بقارة أوربا ، وفي المغرب كانت حركاتها محسوبة بسبب المراقبة الشديدة لمنافسيها على المغـرب بريطانيا ، ايطاليا ، ألمانيا ، اسبانيا ، وبسبب قوة شخصية السلطان مولاى الحسن الاول ويقظته (40) ، فقد كاتب السلطان المذكور ممثلي الدول الاوربية بطنجة مطلعا اياهم على الاطماع التوسعية الفرنسية في توات ومدللا اياهم على مغربيتها ، وقام بتعزيز حامية فكيك ووجه حاميات عسكرية الى تيدكلت وعين عاملا جديدا على كورارة سنة 1892 باقليم توات ، ومن جهتهم فان سكان هذا الاقليم بعثوا بوفود عنهم الى حضـرة السلطان لتجديد الصلـة والطاعة (41) ، وفي سنة 1892 قام السلطان الحسن الاول بزيارة لتافيلالت

39) يطلق توات على اقليم شاسع يقع في الجنوب الشرقي من المغرب ، يحد بالطوارق شرقا وبالسودان جنوبا (مالي حاليا) ويضم ثلاث مناطق هي كورارة ، تيدكلت ، وتوات بمعناها الضيق ، وهذا الاقليم عبارة عن سلسلة من الواحات والقصور الآهلة بالسكان تبتدىء من ملتقى وادي كير وزوفانه قرب قصر اكلي جنوب تافيلالت ، وتمتد هذه الواحات والقصور طول وادى الساورة الى عين صالح .
40) محمد خير فارس مرجع سابق ص 76 و 77 و 78
41) محمد المنوني مرجع سابق ص 37 و 38 ثم مقال الدكتور عبد العزيز التمسماني خلوق « المطامع الاستعمارية في الصحراء المغربية في القرن 19 » مجلة دار النيابة العدد السادس السنة 1985 ص 42 .

يصحبه جيش جرار فاسرعت قبائل الجنوب الصحراوي بارسال الوفود معربة عن ولاءها وطاعتها (42) .

وفي انتظار الفرصة وسانحة ، وحتى تجني باكورتها بكل اطمئنان ، فان فرنسا قامت بتحركات لتليين موقف خصومها الاوربيين وعلى رأسهم بريطانيا واسبانيا ، فقامت في سنة 1890 بابرام اتفاق مع بريطانيا بخصوص اقتسام قارة افريقيا ، فاختصت فرنسا بالمنطقة الواقعة شمال خط يمتد من ساي Say على نهر النيجر الى باروة Barroua على بحيرة التشاد واختصت انجلترا بالمنطقة الواقعة جنوبه (43) ، والملاحظ على هذا الاتفاق أنه لا يشمل أراضي الامبراطورية المغربية الممتدة من طنجة حتى نهر السنغال ، فهي تبقى خارجه عن نفوذ الدولتين ، ثم ان هذا الاتفاق لا يترك لفرنسا سوى شريطا ضعيفا من الصحراء (44) ، ولعل فرنسا كانت ملزمة بهذا السخاء مقابل ان تشتري سكوت بريطانيا حينما تشرع في تعويض ما ضاع منها بجزء أو بأجزاء من صحراء المغرب المترامية الاطراف .

ثم قامت فرنسا في سنة 1900 بتوقيع اتفاقية أخرى مع اسبانيا تحدد الممتلكات الاسبانية في صحراء المغرب الغربية بوادي الذهب ، وفي سنة 1904 (45) وقعت اتفاقية أخرى بين الدولتين منحت فيها فرنسا غريمتها

---

42) محمد خير فارس مرجع سابق ص 80 .

43) العربي الفصحي الحدود المغربية محاضرة توجد ضمن محاضرات أخرى بكتاب من حجم صغير معنون « من تراث المغرب » اصدرته كتابة الدولة في الشبيبة 1967 ص 83 .

44) المرجع السابق ص 83 ثم شارل اندري جوليان مرجع سابق ص 39 .

45) وفي نفس السنة أي سنة 1904 ابرم اتفاق بين فرنسا وبريطانيا يعرف بالاتفاق الودى التزمت فيه فرنسا بعدم عرقلة استعمار بريطانيا لمصر ، وبالمقابل التزمت بريطانيا باطلاق يد الاستعمار الفرنسي في المغرب .
وقبل هذا الاتفاق ابرمت فرنسا وايطاليا سنة 1902 اتفاقا تنازلت بمقتضاه فرنسا عن حقوقها في ليبيا لصالح ايطاليا ، وبالمقابل تنازلت فيه ايطاليا عن حقوقها في المغرب لفائدة فرنسا .
وقد حاولت الدبلوماسية المغربية احباط هذه المؤامرات بالدعوة الى عقد مؤتمر الجزيرة الخضراء سنة 1906 ، وقد اقر المؤتمر استقلال المغرب واخر استعماره لبعض الوقت ، تدبرت فيه فرنسا امرها مع المانيا التي بقيت وحدها على الساحة المغربية وقد تم تصفية الحساب معها في 1911 اذ منحتها فرنسا جزء من مستعمراتها في الكونغو بوسط افريقيا .

اسبانيا منطقتين صحراويين اخريين في الغرب أيضا هما منطقة الساقية الحمراء ومنطقة طرفاية ، بينما احتفظت بباقي الصحراء التي تمتد حتى نهر السنغال ، وقد وقعت هاتين الاتفاقيتين وفرنسا واسبانيا لا تحتلان شيئا من المنطقة الصحراوية « **بل كانتا تكتفيان بالاستيلاء عليها في الخرائط** » (46) .

وبعد ذلك جاءت الفرصة السانحة لتحقيق التوغل الاستعماري في توات وكانت مزدوجة ، فمن جهة انشغلت بريطانيا في حرب البوير Boers بالترانسفال بجنوب افريقيا والتي امتدت من 1899 الى 1902 ، ومن جهة ثانية توفي الوزير الوصي أحمد بن موسى سنة 1900 وهو شخصية قوية اتبعت نفس أسلوب السلطان مولاى الحسن في مدافعة الاطماع الاستعمارية ، وبذلك أصبح الباب مفتوحا وما على فرنسا الا أن تلجه في اطمئنان .

فجردت فرنسا حملة عسكرية باسم تأديب المعتدين المغاربة على بعثة الجيولوجي المستكشف فلامان Flamand ، واستولت في 1900 على عين صالح وتيدكلت واكلي وتميموم (47) وسقطت توتا سنة 1901 بعد معركة مع المجاهدين سقط فيها عدد غفير من القتلى جعلت غوتيي Gautier يصفها بقوله : « **لا اعتقد أنه وقعت في التاريخ مجزرة مماثلة كالتي جرت سنة 1901** » وأضاف « **ان الثعالب والعقبان كبر عليهما الامر نظرا لكثرة الجثث فكل السكان وجميع رؤوساتهم قد ابيدوا** » (48) .

وقد عزم السلطان مولاى عبد العزيز على اثارة مسألة توات على نطاق دولي ، ولهذا الغرض أوفد سفارتين مغربيتين الى أوربا ، الاولى الى لندن وبرلين وعلى رأسها وزير الحرب المنبهي ، والثانية الى باريس وبطرسبرج وعلى رأسها وزير الخارجية ابن سليمان وقد فشلت السفارتان في تحقيق المهمة المنوطة بهما (49) .

---

46) العربي الفحصي مرجع سابق ص 84 .
47) شارل اندري جوليان مرجع سابق ص 40
48) العربي الفحصي مرجع سابق ص 79 .
49) محمد خير فارس مرجع سابق ص 144 .

وكتب السلطان رسالة شخصية الى الملكة البريطانية فكتوريا ، واقترح فيها على الملكة المذكورة **« ان تقنع الحكومة الفرنسية بوجوب تعيين الحد النهائي بين المغرب والجزائر ، بحيث تتعهد (الحكومة الفرنسية) ان لا تتعداه »** (50) ، وفعلا ابلغت فرنسا باقتراح المغرب فكان جوابها غامضا ملتويا كعادتها دائما كلما طلب اليها تحديد الحدود بكيفية واضحة .

واخيرا وبعد فشل كل المساعي ، اضطر السلطان الى التسليم بالامر الواقع والاعتراف به في باريس بتوقيع وزير خارجيته على بروتوكول 20 يوليوز 1901 ، وفي الجزائر بتوقيع محمد الجباص على اتفاقيتي 20 ابريل و 7 ماي 1902 ، وقد لخص وزير الخارجية الفرنسي ديلكاسيه Délcassé مكاسب فرنسا بقوله : **« حصلت على اعتراف بشرعية وجودها في الواحات وكذا في وادي زوسفانة ووادي الساورة حيث سيمر الخط الحديدي ، وقد حصلت فرنسا على هذه النتيجة دون ان تعطي بالمقابل أي تنازل عن المبادىء التي تمنعنا من الحصول في هذه المنطقة على حدود وطيدة »** (51) يستشف من هذا التصريح ان أجزاء من التراب المغربي قد اقتطعت وضمت الى الجزائر الفرنسية ولم يحقق المغرب الذي طالما تعطش الى تحقيقه وهو تعيين الحدود بكيفية واضحة ودقيقة .

والحقيقة ان قبول فرنسا بطلب المغرب الخاص بتجديد الحدود يعتبر اذا ما تحقق **« خطأ شنيعا »** كما يقول المؤرخ جوليان (52) ، اذ سيعمل على شل مبادراتها التوسعية واستعداء الدول الاستعمارية الاخرى عليها ، ففرنسا بتمسكها بسياسة الزحف عبر الحدود كانت تسعى الى أهداف كثيرة نذكر منها :

1 ـ السعي الى اجتثاث جذور المغرب من افريقيا ، اذ تربطه بها صلات وثيقة بحكم امتداد ربوعه حتى نهر السنغال ، وبسيطرته على أهم الطرق الموصلة الى قلب القارة ، كالطريق المارة من فكيك الى توات والى تمبوكتو ، والطريق من كولمين الى تندوف الى ادرار الى نهر السنغال .

---

50) روم لاندو مرجع سابق ص 71 .
51) محمد خير فارس مرجع سابق ص 146 و 147 .
52) شارل اندري جوليان مرجع سابق ص 41 .

وقد راى الاستعمار الفرنسي ان يستولي على الصحراء في المغرب من أقصى جنوب غرب الجزائر ومن شمال السنغال ليتم قطع أوصاله مع افريقيا وتطويقه من كل جانب حتى يصبح لقمة سائغة يسهل ابتلاعها (53) .

2 ـ السعي الى مد النفوذ الاقتصادي الفرنسي في افريقيا ، فقد كانت فرنسا تستعجل تشييد سكة حديد تربط الجزائر بتمبوكتو عبر الصحراء للوصول الى قلب القارة السمراء وغزو سوقها المكون من مائة مليون مستهلك (54) ولاجراء اتصال بين الجزائر ومستعمراتها في غرب القارة الافريقية .

3 ـ السعي الى احتلال المغرب فكان الاستعمار الفرنسي في الجزائر يرى في الحدود « **مركزا اماميا** » للتغلغل « **بصورة سلمية أقل او أكثر في المغرب** » ، ولن يتوقف هذا التغلغل حتى يطبق على المغرب « **ويبلغ حده الطبيعي وهو** الاطلنطي » (56) .

ولتنفيذ نصوص الاتفاقات الفرنسية ـ المغربية ، شكلت لجنة مشتركة لتنظيم مناطق الحدود وتقرير مصير قبائل توات ، ووضع الترتيبات الاولية لفتح الحدود المغربية في وجه تجارة الترانزيت الفرنسية .

ويذكر المؤرخ جوليان أن فرنسا بهذا التنظيم المشترك حققت عدة مكاسب فهي قد حافظت على وجود المخزن في المنطقة واعترفت بتسرب النفوذ الاستعماري في الواحات .

وبتعهد فرنسا ببذل المساعدة حتى يبسط نفوذه في منطقة الحدود ، فان الجيش الفرنسي سيصبح القوة الضاربة في المنطقة وبذلك سوف يفرض

---

53) العربي الفحصي مرجع سابق ص 77 .
54) د. عبد العزيز التمسماني خلوق مرجع سابق ص 42
55) محمد خير فارس مرجع سابق ص 78 .
56) المرجع السابق ص 78 و 80 .

وجهات نظره على الطرف الآخر القاصر وهو المغرب ، وسوف يحول التدخلات لفائدتــه (57) .

ويقول الاستاذ محمد خير فارس : « **كانت هــذه الاتفاقات بجملتهـا انتصارا للسياسة الفرنسية ، فقد وطدت ما حصلت عليه فرنسا بوسائل غير مشروعة من ناحيــة ، كما فتحــت مجالات جديدة للنشاط الفرنسي في هــذه المنطقــة** » (58) .

وازاء ضعف سلطة المخزن في المنطقة بسبب أوضاع المغرب ، فان فرنسا أصبحت مطلقة اليدين فيها ، فقام جونار الحاكم العام في الجزائر « **بمهاجمـة قصور فكيك ، وفرض على الاهالي في القصور تسليم رهائن وغرامة مالية وبنادق حربية ، وحرية دخول الرعايا الفرنسيين** » (59) .

وعين ليوطي Lyautey قائدا لعيــن الصفراء « **ليوسع نطاق الامـن فيتجاوز الحدود الجزائرية الى ما وراء الحدود المغربية نفسها ،،، ليؤسس مركز كولمب بشار** C. Bechar **وفورطاسا** Forthassa **وبريجنت** Berguent » **(60)**

ويرى المؤرخ جوليان ان هذا التغلغل الفرنسي الجديد عبر الحدود « **كان تحولا جديدا ـ واضيف بل وخطيرا ـ في تاريخ المغرب** » وهذا ما أدركــه السلطان مولاى عبد العزيز ، كما ادرك ان هذه المسألة « **أصابت هيبته ونالت من حقوقه** » فقد « **اعتبر الشعب المغربي هذا الاقتطاع الجديد لجزء من أرضه بمثابة جرح أصاب جسمه ، وخسارة كبيرة لحقت بدار الاسلام ، بتخلي أمير المومنين عن وظيفته كأمير للجهاد** » (61) .

ونتيجة لعجز المخزن ظهرت حركات جهاد ومقاومة شعبية في المناطق المهددة بالزحف الاستعماري ، ففي الجنوب الشرقي للصحراء اتفقت القبائل

---

57) شارل اندري جوليان مرجع سابق ص 41 .
58) محمد خير فارس مرجع سابق ص 152
59) المرجع السابق نفس الصفحة .
60) المرجع السابق نفس الصفحة .
61) شارل اندري جوليان مرجع سابق ص 41 .

الصحراوية على تعيين سعيد البخاري كقائد للجهاد ، وفي الصحراء الغربية حيث كانت فرنسا تقوم باعمال استكشافيــة من السنغال تمهيدا لاحتــلال شنقيط (موريطانيا) التف المجاهدون حول الشيخ ماء العينين ، وفي الريف نظم المقاومة محمد امزيان لمدافعة التحرشات الاسبانية .

ومثل هذه الوضعية تشبه الى حد كبير تلك الوضعية التي آل اليها المغرب في عهد الوطاسيين ، عندما عجز المخزن عن حماية البلاد من الغزو الايبري ، فانبرت له المقاومة الشعبية من هنا وهناك من التراب المغربي ومثلما افرز في العهد الوطاسي عددا من الوصوليين والادعياء فان عجز المخزن في العهد العزيزي افرز ادعياء ومغتصبين ادعوا الجهاد وتحرير البلاد مـن سطوة الاجنبي لتحقيق مآرب شخصية .

3 ـ عزم السلطان على القيام باصلاحات ، ترى فيها المعارضة بيع لدار الاسلام الى دار الكفر :

بوفاة الوزير باأحمد ، يبدأ العهد الحقيقي لحكم السلطان مولاى عبد العزيز (1900 ـ 1908) ، وقد وجد في وزارته تيارين متعاكسين **الاول** يميل الى الاخذ باصلاحات على الطريقة الاوربية ، ويؤثر الاعتماد على انجلترا وفرنسا وألمانيا في تحقيقه ، وكان على رأس هذا التيار **وزير الحرب المهدي المنبهي** ، **والثاني** يدعو الى المحافظة على الاصول والتقاليد والتشبث بالتراث في استلهام المبادىء والخطط وكان على رأس هذا التيار **الوزير الصدر الحاج المختار بن عبد الله** ووزير المالية **محمد التازي الرباطي** .

وقد استطاع التيار الاول ان يفرض نفسه ، لان السلطان كان يتوق الى الاصلاح ويتعشقه نظرا لاعجابه الشديد بمدنية أوربا ، ولانه كان يرغب في اتمام عملية التحديث التي بدأها أبوه (62) .

---

62) البير عياش مرجع سابق ص 70

ثم لان وزير الحرب المنبهي كان قوي الشكيمة وذا سطوة ونفوذ على الحكومة الشريفة اتاحت له ازاحة معارضيه والتخلص منهم جميعا سنة 1902 وتغليب رأيه ، وقد قرر السلطان مدعوما بحكومته الاصلاحية السير على طريق أبيه في تقوية الجيش المغربي باستدعاء ضباط انجليز وفرنسيين ، وفكر في الشروع ابدال وسائل النقل التقليدية بوسائل عصرية ، بمد سكك حديدية في أنحاء مختلفة من مملكته ثم مباشرة اصلاح الموانيء وطريقة جباية الرسوم الجمركية .

وكان يرغب في قطع الطريق على تحرشات الاجانب ببلاده بذريعة الاغتيالات التي كان يتعرض لها مواطنيها والتي كانت « **تزعج المخزن وتكلفه المال والكرامة** » (63) ، ثم عزم السلطان على اصلاح جهاز الدولة بالزام وزراء حكومته وسائر موظفي الدولة على أداء القسم على كتاب الله « **على ان يمتنعوا عن قبول منحة تسمح لهم بالحصول على ملكية جزء من املاك المخزن أو أي انعام أو هدية ،،، وان يقوموا بواجبهم بامانة والا يذيعوا أسرار الدولة أو يخونوها** (64) ، وخصص رواتب ثابتة لهؤلاء وتوعد المخالفين بالعقاب والفصل .

واتفق السلطان مع حكومته على اخراج ضريبة « **الترتيب** » التي نصت عليها توصيات مؤتمر مدريد 1880 الى حيز التنفيذ ، فحذف سنة 1901 جميع الضرائب التقليدية وهي الزكاة والعشور والنايبة ، واصدر نشرة تؤكد عزمه اصدار ضريبة عامة سنوية ، يلزم باداءها جميع رعايا مملكته اشراف وعوام ، أغنياء وفقراء ، مدنيون وعسكريون ، أجانب ومحميون ، وستحدد قيمتها بحسب ثروة الملزم بها ، وان احصاء عاما قد تقرر لجرد ثروات الرعايا وما يملكون من عقار وماشية .

وكان من المفروض تطبيق هذا الاصلاح الضرائبي بسرعة لانه سيصطدم بكثير من المصالح التي من شأنها ان تواجهه بالرفض والمقاومة (65) . .

---

63) محمد خير فارس مرجع سابق ص 120

64) المرجع السابق ص 122

65) البير عياش مرجع سابق ص 70 .

لكن جميع هذه المشاريع الاصلاحية اجهضت برفض الشعب لها ، فعندما تسرب خبر مشروع انشاء سكة حديد بين فاس ومكناس ثارت ثائرة القبائل المنتجعة بالمنطقة (66) ، وعندما عزم السلطان الذهاب على متن سيارة من فاس الى مكناس ليعرف مواطنيه بهذه الوسيلة وبحسناتها ويكون لهم قدوة في استعمالها ، كان رد الفعل شديدا ، فقد استنكر أهل مكناس ذلك (67) وعندما اعدم أحد رعاياه بسبب قتله لمواطن انجليزي قيل أنه دنس ضريح **مولاي ادريس ، واستنكر حوادث الاغتيال التي أدت الى احتلال وجدة البيضاء** والشاوية بوصف مرتكبيها « **بالانذال المتوحشين** » (68) ، فان السلطان وصف من طرف معارضيه بأنه « **أصبح دمية تتحرك وفق رغبات الاجانب** » (69) .

وعندما أعلن عن نيته في تطبيق مشروع الضريبة الوحيدة العامة التي تعتبر « خطوة ثورية » من شأنها انقاذ السواد الاعظم من الرعية من مظالم ذوي النفوذ والجاه ، فان مشروعه استنكر بشدة من قبل المحافظين المنتفعين وذوي الامتيازات والاغنياء والتجار لانهم رآوا فيها أداة لنهب قسط من ثرواتهم ومداخيلهم ، وثار ضدها الفقراء والشرفاء والزوايا وقبائل الجيش لانهم كانوا معفيين من أداء الضرائب التقليدية ، وحكم عليها العلماء بالبطلان لانها منافية لتعاليم القرءان والسنة ، وماطل السلك الدبلوماسي بطنجة في اعطاء الترخيص باستخلاصها حتى سنة 1903 ، لان المادة الثانية عشرة والثالثة عشرة من معاهدة مدريد ترهن تطبيقها باتفاق مع ممثلي الدول الاجنبية بطنجة .

وعندما شرع المخزن في تطبيق ضريبة الترتيب سنة 1904 ، كان الوقت متأخرا اذ اجتاحت البلاد ثورات ، ثم أنه لم يكن لدى الخزينة من المال ما تدعم قوة فرضها اذ حرمت من استخلاص الضرائب التقليدية منذ الغاءها سنة 1901 .

---

66) شارل اندري جوليان مرجع سابق ص 42 .
67) محمد خير فارس مرجع سابق ص 120 .
68) الطيب الازرق مشروع دستور جماعة لسان المغرب مجلة تاريخ المغرب العدد الاول السنة 1981 ص 106 .
69) المرجع السابق نفس الصفحة

وبذلك ذهبت جهود السلطان الاصلاحية سدى ، ولم يجن منها سوى **النقمة على شخصه والانتقاص من هيبة نفوذه ، وبالاضافة الى الاسباب** المشار اليها آنفا ، ادرج أسبابا أخرى **هي :**

1 ـ ان وزراء حكومة السلطان لم يكونوا جادين في مسعاهم الاصلاحي لانهم كانوا يخشون كل اصلاح من شأنه ان ينال من نفوذهم ويقلل من مكاسبهم ، ثم لانهم كانوا يعملون لمصلحة الاجنبي أكثر مما يعملون لمصلحة بلادهم (70) ، فوزير الخارجية عبد الكريم ابن سليمان وشيعته كانوا يميلون اصلاحات تقوم بها فرنسا ووزير الحرب المهدي المنبهي وشيعته **كانوا يميلون الى اصلاحات تقوم بها بريطانيا** وألمانيا (71) .

2 ـ ان المعارضة الدينية كانت ترى ان كل عمل أو اجراء يقوم به المخزن ولا تسوغه الشريعة الاسلامية يعتبر باطلا ومرفوضا وان كان فيه نفع عميم للمسلمين ، وكانت ترى ضرورة وقف كل تعاون مع الاجنبي كيفما كانت خدماته « **لان الاجانب هم سبب همومنا واليهم يرجع تأخرنا وفوضانا وصراعاتنا الداخلية وفقدان استقلالنا وخرابنا ، فاي نفع انوابه ، وما هي العلوم الجديدة التي علمونا ، وما هي المكاسب التي جنيناها من هذه العلوم ، في حين يمكن الاستغناء عنهم** » (72) .

3 ـ ان الدول الاستعمارية كانت تعارض انجاز الاصلاحات في المغرب ومنها فرنسا التي خشيت ازدياد نفوذ بريطانيا فيه ، لانها كانت مرشحة لتنفيذ كثير من المشاريع الاصلاحية ، وقد صرح وزير خارجية فرنسا بهذا الصدد بقوله ان فرنسا وجدت نفسها « **ازاء أقوى وأخطر محاولة حتى الان لسياسة النفوذ الانجليزي في المغرب بواسطة مجموعة من الاصلاحات التي تقوم بها انجلترا أو تحتفظ لنفسها بتوجيهها** » (73) .

---

70) علال الفاسي الحركات الاستقلالية في المغرب العربي الطبعة الرابعة 1980 ص 94 .
71) الطيب الازرق مرجع سابق ص 103
72) فقرة من فتوى لعلماء فاس صدرت في سنة 1904 ، نقلا عن مقال الطيب الازرق ، مرجع سابق ص 106 و 107 .
73) محمد خير فارس مرجع سابق ص 124

ان الشعب المغربي كان محقا في موقفه من الاصلاحات العزيزية لانه كان **بحاجة الى حملة تطهير لاستئصال العناصر الانتفاعية العميلة للاستعمار حتى** يتضح مسار **الاصلاح** ، ثم لان الشعب وجمهرة العلماء كانت تدرك كنه رؤية الاجنبي للاصلاح والذي لا يعدو فتح منافذ جديدة لتطويق المغرب المستضعف وغرس مخالبه فيه .

وبذلك يفشل الاصلاح ، ويتحرج موقف السلطان ، وتدعي المعارضة ان السلطان « **باع نفسه للكفار** » (74) ، وأنه يسعى الى تمسيح المغرب (75) ، مما خلق جوا مناسبا لقيام ثورتا خطيرة كادت تطيح بالعرش العلوي (76) .

4 ــ **الحكومة الشريفة فيها محميون انتهازيون** : كان يحيط بالسلطان الشاب مجموعة من المنتفعين النافذي الارادة ، كانوا « **يكيدون للدولة ويعملون للاجنبي** » (77) ، وقد « **زلزلوا سلطته في اعين رعاياه** » (78) ، وفي وقت كان يحس فيه « **بنقص معرفته بامور الدولة وبجسامة المسؤولية الناجمة عن ظروف البلاد الحاضرة** » (79) ، وعوض ان تستجمع الحكومة نشاطها وتصرفه في مجابهة المشاكل الداخلية والخارجية ، فانها اهدرته في حبك الدسائس للاطاحة برؤوسها ، وقد تأثر المولى عبد العزيز بهذا الجو المشحون « **فاصبح كالضائع وسط تيارات متضاربة يمثلها رجال محنكون تدفعهم مطامح شخصية وتاثيرات أجنبية** » (80) .

واذا كان لنا ان نضرب مثلا عن رجالات الحكومة فلنأخذ وزير الدفاع **المهدي المنبهــي** :

---

74) الدكتور صلاح العقاد مرجع سابق ص 234 .
75) شارل اندري جوليان مرجع سابق ص 42 .
76) محمد خير فارس مرجع سابق ص 124 .
77) علال الفاسي مرجع سابق ص 94 .
78) البير عياش مرجع سابق ص 70 .
79) محمد خير فارس مرجع سابق ص 117
80) المرجع السابق ص 119 .

كان المهدي المنبهي من أقرب المقربين الى الرجـل « **الحديـدي** » (81) الوزير باأحمد ، « **لا حجاب دونـه في مرضه في غيره** » (82) ، فقد كـان ساعده الايمن في قمع وتأديب قبائل الحوز ، وكان المنبهي يتملق سيده بقضاء بعض شهواته ، « **فحين عرف محبته للسمك ، رتب بغالا قوية بين الحمراء** (مراكش) والجديدة تاتي به في ليلة ويقدمه له » (83) .

وكان المنبهي أول عارف بخبر موت الوزير باأحمد ، وأول من نعاه الى السلطان المولى عبد العزيز ، وخلال النعي استأثر بتفكير السلطان « **الذي لم يكن ذا خبرة في الحكم** » (84) « **فظهر من وقته آمرا ناهيا** » (85) ، وكان أول عمل قام به هو التنكيل بأهل الوزير المتوفى « **فالقى القبض على كل آل أحمد ، فغرب عزهم في لحظة** » (86) ، ونقل أموال الدولة التي كانت مصونة بقصر الباهية خوفا عليها من تبذير السلطان (87) الى دار المخزن ، وسرق منها « **نحو الثلثين أو أكثر** » (88) ليصرفها في تقوية نفوذه بشراء ضمائر « **اذنياء النفوس** » (89) حتى صارت له منهم « **حاشية طويلة** ،،، **يتبعـه منها نحو أربعمائة بغلة يذهبون معه حتى يدخل داره ، كما يصاحبونه عند الغدو** » (90) ، واخذ « **يستكثر في صفوفه كل من تصل اليه قوته كقواد القبائل** » (91) .

---

81) محمد المختار السوسي مرجع سابق ص 39

82) المرجع السابق ص 41 .

83) المرجع السابق ص 40 .

84) روم لاندو مرجع سابق ص 62

85) محمد المختار مرجع سابق ص 41 .

86) المرجع السابق نفس الصفحة .

87) المرجع السابق ص 36 .

88) المرجع السابق ص 41

89) المرجع السابق نفس الصفحة .

90) المرجع السابق ص 42

91) المرجع السابق ص 43 .

واستولى على وزارة الحرب فصار وزيرا للدفاع ، وابعد الوزير الصدر الحاج المختار بن أحمد (92) عم الوزير الراحل باأحمد (93) ، ودفع بالفقيه محمد المفضل غريط لشغل هذا المنصب ، وكان يشغل في العهد السابق وزيرا للخارجية ومن صفاته أنه كان يتظاهر بالبلادة وبطء الفهم ولكنه في الحقيقة كان « **ثعلبا ماكرا** » (94) .

فالمنبهي أحسن استغلال الظروف ، فصار في لحظة عين « **المستحوذ على كل شيء** » (95) بيده الحل والعقد ، يتحكم في أمور الدولة ويوجه دفتها بكثير من التهور يبذر أموالها ذات اليمين وذات الشمال وهو يدرك أن بلاده تجتاز ظرفا حاسما لا يهمه سوى ترسيخ قدمه في القصر ، والحيلولة بين السلطان وأمور الدولة باغراق قصره بأشياء غربية تافهة من منتوجات الغرب حتى تلهيه وتشغله وتعزله .

وعوض أن يعمل المنبهي لمصلحة بلاده صار يعمل لمصلحة انجلترا ، ومن جبه لها وتفانيه في خدمتها دخل في حمايتها (96) ليسيء أكثر الى بلاده والى هيبة سلطانها ، خصوصا وان العلماء والمفكرين قد حملوا على المحميين حملة شعواء ، فهذا **ابى حامد المشرفي** يوصي المغاربة بمقاطعتهم فيقول « ... **فواجب على كل ان يومن بالله واليوم الاخر ان لا يجالس أهل الحماية ولا يصادقهم ، ولا يؤاكلهم ولا يعاشرهم ولا يناكحهم ، وان يوصي كل من لقيهم بمجانبتهم ومباعدتهم وترك معاملتهم ردعا لامثالهم لان هذا المنكر ـ وهو التعلق بالعدو ـ من أعظم المفاسد في الدين التي يتعين فيها الزجر والتغليظ ... ومن اعان المحتمي أو عاشره أو خالطه أو أرضنه حالنه فهو فاسق ملعون** » (97) .

---

92) محمد خير فارس مرجع سابق ص 118 .
93) حتى يستبد الوزير الصدر أحمد بن موسى بامر الملك ، فانه جعل أهم المناصب الوزارية حكرا على أفراد من أسرته فعين أخاه السعيد وزيرا للدفاع وأخاه ادريس حاجبا ، ولم يترك معه من الغرباء سوى غريط كوزير للخارجية وأبا الحسن المسفيوي كوزيرا للعدل .
94) محمد خير فارس مرجع سابق ص 118
95) محمد المختار السوسي مرجع سابق ص 42
96) محمد المختار السوسي المعسول الجزء العشرون مطبعة الجامعة البيضاء ـ 1961 ص 46 ثم للوثائق ج 4 ص 40 ، ثم البير عياش مرجع سابق 75 .
97) محمد المنوني مرجع سابق ص 261 و 262 .

وهذا **أبو المواهب جعفر الكتاني** يقول : « **فثبت بهذه الآيات القرآنية التي هي الدلائل اليقينية ، وما نقلناه عليها من كلام الائمة وأهل التفسير ، صحة ما ذكرناه من تحريم موالاة الكفار والاحتماء بهم وبلوغ ذلك الغاية في القبح وأنه من العظائم المؤذنة بكل رذيلة ،، ومن خالف الان في هذا التحريم أو رام الخلاف فهو مارق من الدين ، ومنخرط في سلك الملحدين ، ومخالف لجماعة المسلمين ومحجوج بما لا مدفع فيه لمسلم أبد الابدين** » (98) .

فالمحتمي في نظر العلماء ومن وراءهم الشعب المغربي المتدين هو شخص كافر ، مارق ، ملحد ، ملعون تجب مقاطعته في كل شيء ، وقد يهون الامر اذا كان الشخص المحتمي من الدهماء ولكنه يصبح غير ذلك اذا كان المحتمي شخص يتوم بمسؤولية خطيرة ، ويكون أحد وزراء السلطان الذي هو رأس الامة وحامي الملة والدين ، فلا شك ان جريرته ستصيب هيبة السلطان بتصدع خطير لا يمكن ترميمه ، وبالتالي سيكون ذريعة لقومه المغتصبين والادعياء ، في هذه الظروف ولدت ثورة بوحمارة وترعرعت وتقوت ، وعلى عناصرها سيؤسس مضمون دعايتها التي نجحت في استقطاب عدد كبير من القبائل الى نصرتها .

98) المرجع السابق ص 259 .

الفصل الثاني :

أطوار ثورة بوحمارة

مدبر الثورة وزعيمها هو الروكي (1) الجيلاني بن عبد السلام اليوسفي الزرهوني المكنى **بابي حمارة** (2) ، ولد بمدشر أولاد يوسف ، وهو أحد المداشر الشهيرة بجبل زرهون (3) باحواز مدينة فاس ، كان مولده في نهاية العقد السادس من القرن التاسع عشر حوالي سنة 1865 (4) أو 1868 (5)، بعثت به أسرته وهو حدثا الى العاصمة العلمية فاس ، وفيها تلقى « **تربية ممتازة** » (6) ، فكان أحد أفراد فريق الطلبة المهندسين الذي أوكل السلطان مولاى الحسن « **مهمة تعليمه وتدريبه الى القبطان طوماس أحد ضباط البعثة العسكرية الفرنسية المكلفة مع غيرها من البعثات العسكرية الاجنبية بتدريب جيش السلطان** » (7) تدريبا يوافق مستجدات العصر العسكرية ، ولعل الجيلاني لم يتوفق في تداريبه ، الامر الذي يفسر تواضع الوظائف التي عمل بها، **ولا شك أنه قد غنم من تعليمه رصيدا ثقافيا لا بأس به، فكان ذا معرفة**

---

1) الروكي : لقب ينعت به كل دعى مغتصب يروم الوصول الى الملك بطريق التضليل والفتنة وأول من لقب بهذا النعث الجيلاني السفياني الذي ثار في الغرب أيام السلطان العلوى سيدي محمد بن عبد الرحمان وقد « افتتنت العامة بهذا الروكي ونسبوا له الخوارق والكرامات من غير استناد الى دليل ، ووعدهم بأنه يستولي على الملك ويحكم المتمسكين بدعوته في الاموال كيف شاءوا ، وقد دامت فتنته أربعين يوما انتهت بقتله بضريح مولاى ادريس بجبل زرهون سنة 1278 ، ولمزيد من التفصيل ينظر الناصرى كتاب الاستقصاء الجزء التاسع دار الكتاب – البيضاء – 1956 ص 108 و 109.

2) تنعت كتب التاريخ والرسائل السلطانية الجيلاني الزرهوني بجملة من النعوت المشينة ومنها نذكر : الفتان ، الدعي ، المارق ، الدجال ، الثائر ، الزنيم ، الفاسد ،

3) مولاي بعد الرحمان بن زيدان اتحاف اعلام الناس ج 1 الطبعة الاولى – الرباط 1929 ص 400 .

4) عبد الوهاب بن منصور اعلام المغرب العربي الجزء الاول المطبعة الملكية – الرباط 1979 ص 303 .

5) Maroc face aux impérialismes Ch. A. Julien منشورات جون افريك سنة 1978 ص 43.

6) المرجع السابق نفس الصفحة .

7) عبد الوهاب بن منصور مرجع سابق ص 304 .

بامور الدين والشرع ، وذا المام بعلوم التنجيم والتوقيت والحساب وهي علوم كانت تدرس للطلبة المهندسين (8) ، وقد عمل الجيلاني عونا للقائد عبد الكريم ولد أبا محمد الشركي وصار كاتبا أو مخزنيا لخليفة السلطان بفاس الامير أبي حفص عمر بن السلطان مولاي الحسن وأخ السلطان مولاي عبد العزيز (9) ، ولكنه لم يكن نزيها في عمله ، فقد أودع السجن لمدة عامين (10) بسبب تزويره توقيع الخليفة السلطاني (11) أو توقيع السلطان وصنع صورة لطابعه الشريف (12) ، وفي السجن التقى بالمهدي المنبهي ومحمد انفلوس .

وتبرهن فعلته النكراء هذه ، التي تعتبر وبحق خيانة ، انه كان يتوق وبلهفة الى تحقيق حلم عزيز المنال وهو اغتصاب السلطنة ، ومما يؤكد هذا ويدعمه ان الجيلاني الزرهوني الضليع في أمور السحر والشعوذة والتعرف على ما يسمى باسرار الحروف (13) ، كان يتسلى مع رفيقيه المشار اليهما في السجن بكشف الطالع لاستشفاف مستقبلهم ، فكان محمد انفلوس يقول بانه سيصير كبيرا متبوعا ويقول المنبهي بانه سيصير وزيرا ويقول صاحبنا بوحمارة بانه سيكون ملكا (14) ، ومما ساعده على بناء هذا الحلم هو صفات كانت في شخصيته ، فكان جسورا ، ماكرا ، محنكا ، تعرف بسبب خدمته في دار المخزن (القصر الملكي) على الكثير من أعرافها وسبر الكثير من خبايا رجالاتها (15) ، فملازمته للامير ابي حفص عمر ككاتب جعلته يتف على الكثير من أسرار القصر وتقاليده ويتعرف على امراءه ورواده ، ويدرك سخط وامتعاض الامير مولاي عمر والامير مولاي امحمد من تولية أخيهما الاصغر

---

8) محمد المنوني مظاهر يقظة المغرب الحديث الجزء الاول الرباط ـ 1973 ص 104 .

9) محمد المختار السوسي المعسول الجزء العشرون مطبعة الجامعة البيضاء ـ 1961 ص 36 ثم مولاي عبد الرحمان بن زيدان مرجع سابق ص 400 .

10) Ch. A. Julien مرجع سابق ص 43 .

11) محمد خير فارس المسألة المغربية 1900 ـ 1912 معهد الدراسات العربية جامعة الدول العربية ـ القاهرة ـ 1961 ص 127

12) روم لاندو تاريخ المغرب في القرن العشرين ترجمة نقولا زيادة الطبعة الثانية ـ بيروت 1980 ص 67 .

13) عبد الوهاب بن منصور مرجع سابق ص 303 و 304

14) محمد المختار السوسي مرجع سابق ص 37 .

15) Les Origines de la Guerre de Rif G. Ayache ـ الرباط 1981 ـ ص 129 .

الفتى مولاى عبد العزيز ، كما أنه ولا شك كان بطريق أو باخر ملما بجل حيثيات الوضعية العصيبة التي كان يجتازها المغرب ، فكان كغيره من الانتهازيين يتصيد الفرصة السانحة ليضرب ضربتــه .

وجاءته الفرصة الذهبية بوفاة الوزير الوصي باأحمد سنة 1900 ، ونقمة الشعب على السلطان بسبب سلوكه الشخصي وسياسته الاصلاحية ، ثم بصعود رفيقيه في السجن الى أعلى درجات السلم ، فقد غدا المنبهي وزيرا للحرب ، وأصبح بيده الحل والعقد في حكومة السلطان ، وغدا محمد انفلوس عاملا على حاحا ، فرأى الجيلاني ان يتملق صديقه المنبهي لعله يجود عليه بوظيفة تكسبه حظوة ونفوذا ، ولكنه « **لم يصادف من المنبهي قبولا حسنا** » ، فغضب واقسم « **ليرجعن أميرا حيث صار رفيقــه المنبهــي وزيرا** » (16) ومن يوم خيبته ، طفق الجيلاني يجول بلاد المغرب الشرقي راكبا اتانا شهباء ـ ومنها جاءت كنية بوحمارة ـ في « **صفة ناسك متقشف يدعو الى الله** » (17) وهو في الحقيقة يبحث عن المكان الصالح لاعلان فتنته (18) ، ثم دخل الجزائر بايعاز من بعض الجواسيس الجزائريين الذين كانوا في خدمة الاستعمار الفرنسي ، والذين كانوا يتجولون بالمغرب الشمالي الشرقي متنكرين في صفة صوفية يبيعون « البركة » ويجمعون « الزيارة » ليقوموا باعداد تقارير للاستعمار الفرنسي المتربص بالمغرب ، تساعده على فهم طبوغرافية المنطقة ومكامن قوة وضعف قوادها واعيانها وطبيعة ثرواتها ، وفي الجزائر زار عددا من مدنها وهران ، مستغانم ، معسكر ، تلمسان (19) وفيها اتصل بشيوخ الطريقة الدرقاوية العميلة للاستعمار ـ والتي كان قد لقى ثلة من مريديها فــي المغرب ـ ومنهم الشيخ عبد القادر بن عدة والشيخ البوعبدلي (20) ، فوجدوا فيه مبتغاهم بعدما أطلعهم على نواياه ووعدوه بالمال والسلاح والخطط ويفيد

---

16) مولاي عبد الرحمان بن زيدان مرجع سابق ص 305 .
17) المرجع السابق نفس الصفحة .
18) عبد الوهاب بن منصور مرجع سابق ص 305 .
19) مولاى عبد الرحمان بن زيدان مرجع سابق ص 400 ثم شارل اندري جوليان مرجع سابق ص 43 .
20) عبد الوهاب بن منصور مرجع سابق ص 307 .

مؤرخ المملكة ابن منصـور (21) ان زاوية مستغانم كانت أعظم مراكـز الاستخبارات الفرسنية المجندة لتقصي الاحوال بالمغرب ومعرفة كل شاذة وفاذة عنه استعدادا لغزوه وضمه الى امبراطوريتها بشمال افريقيا .

وكان مريد والزاوية المذكورة يتالفون من جزائريين ضعاف الضمائر ، ومن ضباط فرنسيين مستعربين يدعون اعتناق الاسلام حتى يدفعون عنهم الشبهات ، ويعمل الجميع بتواطؤ مع شيخ الزاوية لخدمة المد الاستعماري الفرنسي في المغرب .

ومن أنشطة الزاوية في مستغانم انتداب جواسيس وارسالهم الى المغرب الشمالي الشرقي في صورة صوفية فقرءا ، ليقوموا بوضع دراسات طبوغرافية على تضاريس هذه الجهة وكتابة مونوغرافات عن القبائل والقرى والمدن التي يستضيفهم قوادها واعيانها .

وكانت الزاوية المذكورة تستقبل العمال الفلاحيين المغاربة الذين كانوا يقصدون الجزائر للعمل في مزارع الاستعمار أيام الحصاد ، فكانوا يستدرجون باسم الدين والعبادة الى رحاب الزاوية ليمطروا باسئلة عن أحوال بلادهم ومخزنهم وولاتهم ، فيدلون وبكل سذاجة وطيبوبة بمعلومات مفيدة يسخرها الاستعمار في رسم خطط الغزو والتوسع .

وفي سنة 1901 دخل الجيلاني الزرهوني الى وجدة وتردد على قبائـل انكاد وغيرها وسار حتى طنجة وهو يتظاهر بالنسك وتصوف ، يدعو الناس الى المعروف وينهاهم عن المنكر « **وربما قطع ليلة بالسجود والركوع** » (22) ، ليسمعهم ازجالا رقيقة تطرب سامعيها وتأخذ بمجامع لبهم « **وربما نطق بعبارات كانه من ذوي الاشارات** » (23) ، ليهاجم في كل وقت الحكومة

---

21) المرجع السابق نفس الصفحة .
22) مولاى عبد الرحمان بن زيدان مرجع سابق ص 400 .
23) المرجع السابق ص 401 .

الشرعية ويتهمها بالخضوع للاجنبي فقد « **كان يصور مولاى عبد العزيز ورجال مخزنه في صورة المرتدين المارقين من الدين ، الذين يستعينون بالنصارى ويتشبهون بهم ويحاولون ادخال نظمهم الى المغرب وفرض عوائدهم علـى شعبه ، ويصف الجيش المغربي بانه جيش يخدم الكفر لا دين الاسلام لان قائده نصراني ومدربيه نصارى** » (24) وقد وجد لدى العامة « **اذانا صاغية وقلوبا قابلة لما يبذر فيها من البغض والعدوان للسلطان ورجال دولته** » (25) سيما وان الجيلاني كان « **يلقيها باسلوب اخاذ** » ثم لان الكثير من أفراد الشعب كانت متذمرة من بعض تصرفات المخزن وعلى رأسها « **التفريط الذي حصل في قضية توات والاتفاقيات »،، بشان الحدود** (26) .

وقد **ركز الجيلاني** دعايته وبصفة مكثفة في الجهة الشرقية المتاخمة للجزائر المستعمرة وذلك حتى يجرب مقدراته الدعائية ، ويقيس مدى وقع مغالطاته وبهتانه على نفوس العامة وحتى يكون قريبا من العاطفين عليه في الجزائر حتى يختبروا درجة نجاحه حتى لا تضيع أموالهم واسلحتهم وخططهم هدرا ، وحتى يكون قريبا من اسياده في الجزائر فيستمد منهـم السلاح والمال والخبرة بسهولة وسرعة ، ويكونوا ملاذا له عند الفشل فيحتمي بالجيش المحتل عند الضرورة ، ثم لان سكان هذه الجهة من المغرب من السهل استدراجهم نظرا لطيبوبة قلوبهم وصفاء طويتهم ، ثم لان الاستجابة الى صيحات الجهاد هي من شيهم ولا يستاخرون عنها مهما كان الامر .

بعد هذا النجاح التمهيدي ، دخل الجيلاني الى فاس ليستعلم الاخبار حتى يوقت لفتنته الكبرى ، ولما علم من بعض معارفه ولا شك أنهم من العاملين بدار المخزن سخط الناس على السلطان ، توجه على متن اتانة الشبهاء وبرفقته أوراقا واسفارا قديمة الى قبيلة الحياينة ، فصادف باراضيها موسم الوالي أبي عبد الله محمد بن الحسن الجاناتي ، وقد قصدته عدة قبائل

---

24) عبد الوهاب بن منصور مرجع سابق ص 324 .
25) مولاي عبد الرحمان بن زيدان مرجع سابق ص 401 .
26) عبد الوهاب بن منصور مرجع سابق ص 324 .

أخرى كغياثة وتسول والبرانس وغيرهم (27) ، فاشترى الجيلاني سبعة ثيران سود وذبحها في مشهد الوالي المذكور الامر الذي أثار دهشة رواد الموسم ، فتحلقوا حوله مشدوهين ، فصار يبكي وهو « **ينشر بينهم معايب الدولة ورؤساها ، ويحبب لهم الخروج عليها ، ورفض طاعة المخزن والسلطان ويرمي الجميع بالعار والشنار ،،، وصار يدعى ان هو المولى محمد نجل السلطان المقدس ،،، وصنو السلطان المولى عبد العزيز ، وانه انما يتستر باسم غيره خوفا على نفسه ممن استولى على ملك والده واستبد به ، واستعبد الرعية التي أمر الله السلطان بحمايتها ورعايتها وذب عنها والسعي وراء مصالحها ، واشتغل ببيع دينه بدنياه ، ومال كل الميل لشهواته ولذاته ، وتتبع اغراضه الشخصية** » (29) .

ولما فرغ من تحريضه أخذ ينشر على الحاضرين بعض ما كان عنده من اللويز الكثير (30) ، وقد تمكنت دعايته من تحقيق هدفها ، اذ التف حوله « **بعض غياثه والحياينة** » (31) وبايعوه على نصرة الدين ، ولما شاع أمره في المنطقة جاءه رؤوساء القبائل واهدوه فرسا « **من عتاق الخيل** » (32) وخباء ،

ولما كان الجيلاني الزرهوني ذكيا ، نبيها ، ماكرا واسع الحيلة وكثير الحذر فانه أخذ على مشايعيه العهود والمواثيق حتى لا يتخلوا عن نصرته ويخسفوه ، « **فحالفوه على ان لا يخالفوه وان يضحوا أنفسهم وأموالهم دونه** » (33) ، وقد تسابق الى نصرته بعدما انتشر خبره وتمكن دجله من عقول العامة والانتهازيين بعضا من قبائل تسول والبرانس وصنهاجة ومكناسة وبايعته قبائل قلعية وبني ورياغل معتقدة بما يقول وآملة ان يصد عنها تحرشات الاسبان المستقرين بمليلية (34) ، فعمت « **ايالته كل تلك**

28) محمد المختار السوسي مرجع سابق ص 37 .
29) مولاى عبد الرحمان بن زيدان مرجع سابق ص 401 و 402 .
30) محمد المختار السوسي مرجع سابق ص 37 .
31) المرجع السابق نفس الصفحة .
32) مولاي عبد الرحمان بن زيدان مرجع سابق ص 402 .
33) المرجع السابق نفس الصفحة .
34) جرمان عياش مرجع سابق ص 130 و 131 .

القبائل يمينا وشمالا » (35) ، ثم قصد مدينة تازة « **فعسكر بظاهرها يومين وجرت بينه وبين أهلها مفاوضات قبلوا في نهايتها ان يسلموه المدينة خوفا من بطشه وبعدما يئسوا من وصول نجدات عسكرية من فاس** » (36) ، فدخلها واتخذ منها عاصمة لملكه وامر بالدعاء له في صلاة الجمعة باسم مولاى امحمد بن الحسن (37) ، وصار يخاطب « **بسيدنا** » « **وبدأ يستشعر شعارات الملك ويتظاهر بمظاهره والف حوله من بعض الشرفاء والاعيان حاشية ، وأقام الحدود** » (38) .

وكانت فتنة الجيلاني الزرهوني في سنة 1902 ، وقد أعلم بها في حينها دار المخزن عامل تازة عبد السلام الزمراني ، مطالبا بتدخلها الفوري لاخماد جذوتها في المهد قبل أن يتفاحش أمرها « **فقوبل طلبه بالرفض** » (39) ، ومن أسباب عدم اكتراث أولي الامر بشأنها هو ان قيام الثورات في المغرب كان أمرا مالوفا ولم تكن هذه الثورات تشكل في غالب الاحيان سوى خطر محلي محدود (40) ثم « **لان الوزراء كانوا غافلين عن مسؤولياتهم ، غارقين الى الاذقان في ملذاتهم** » (41) .

ولم تتحرك جيوش السلطان لملاقاته والاجهاز على فتنته ، الا بعد عزم الجيلاني الزحف على فاس ، ووقوف المخزن على قوته ونفوذه اللذان استفحل أمرهما وباتا ينذران بخطر كبير .

وقد دارت بين الجيوش السلطانية وشيعة الجيلاني بوحمارة حروبا ومناوشات ومطاردات غطت أوقاتا من فترة ثورته التي استمرت سبع سنوات

35) محمد المختار السوسي مرجع سابق ص 38 .
36) عبد الوهاب بن منصور مرجع سابق ص 310 .
37) مولاي عبد الرحمان بن زيدان مرجع سابق ص 405 .
38) عبد الوهاب بن منصور مرجع سابق ص 310 .
39) مولاي عبد الرحمان بن زيدان مرجع سابق ص 403 .
40) محمد خير فارس مرجع سابق .
41) عبد الوهاب بن منصور مرجع سابق ص 311 .

من 1902 الى 1909 ، وهي فترة مهمة اذا ما قيست بالامكانيات العسكرية المخزنية التي جندت لها ، مما يدل على قوة الثائر واتساع نفوذه وتحكم دعاينه وبهتانه ، وقد تمكن الجيش « العرمرم » (42) بقيادة اخ السلطان مولاى الكبير (43) من هزم الثائر وشيعته قرب « عين القدح » من بـــلاد الهبارجة (44) ، « **واسر منه خمسة انفار وقطعت سبعة رؤوس ووجه الكل للحضرة السلطانية** » (45) وكان ذلك في نونبر 1902 ، وقد « **ملأ هذا النصر البسيط الذي لم يكن في الحقيقة الا صد هجوم صغير ، قواد المحلة** (46) **المخزنية غرورا وعجبا فصوروا للسلطان ومخزنه تلك المناوشة الاخيرة في صورة المعركة الكبيرة ونتيجتها الهزيلة في صورة النصر الحاسم** » (47)

وصدرت الاوامر لمولاى عبد السلام الامراني ابن عم السلطان ان يزحف بجيشه المرابط بقبيلة مسارة من بلاد جبالة ، وينضم الى جيش مولاى الكبير وعين الامراني قائدا عاما للجيش كله وفوض له الامر في كل شيء يتعلق بحرب الثائر ومطاردته (48) ، لكن قيادة هذا الجيش الجرار كانت صعبه المراس لان الشريفين مولاى الكبير ومولاى عبد السلام الوزاني كانا ينافسان مولاى عبد السلام الامراني عليها ويصر كل واحد منهم أنه مستقل عن الاخر في قيادة ما تحت يده من جيش ، « **حتى انهم في عشايا رمضان ، يطلق كل واحد منهم عند المغرب مدفعه فنسمع ثلاثة مدافع** » (49) ، وبذلك كانت خلافاتهم تصل الى الجنود ، ومما لا شك فيه انها كانت تفت فــي

42) مولاي عبد الرحمان بن زيدان مرجع سابق ص 403 .
43) هو الامير مولاي عبد الرحمان ويعرف بمولاي الكبير وهو أخ غير شقيق للسلطان مولاى عبد العزيز عينه أخوه السلطان قائدا على هذه الحملة وهم لم يبلغ حد الرجال ولم يكن لديه أي المام بفنون الحرب والمساجلة .
44) احدى قبائل الحياينة المستقرة باحواز فاس .
45) مولاى عبد الرحمان بن زيدان مرجع سابق ص 403 .
46) المحلة تعنى في الاصطلاح العسكري المغربي القديم الجيش المقيم والمرابط في مكان ما وتعنى أيضا الحركة وتنفيذ الجيش المتحرك المتنقل المتعقب للثوار .
47) عبد الوهاب بن منصور مرجع سابق ص 312 .
48) محمد المختار السوسي مرجع سابق ص 38 .
49) المرجع السابق ص 40 .

عضدهم وتزيد في فزعهم ، سيما اذا علمنا ان الجيش السلطاني كان يتحرك ويحارب في منطقة لا يأمن فيها لا على مقدمته ولا على ساقته ، لان معظم قبائلها واقعة في شراك دعاية الجيلاني بوحمارة . وفي دجنبر 1902 التحم الجيش السلطاني بشيعة الثائر فهزم شر هزيمة قرب وادي اللبن غير بعيد من مكان يقال له « **قعدة الارانب** » ببلاد تسول (قرب تيسا) ، فقد احاطت به شيعة الجيلاني من كل مكان مدعمين من قبائل الحياينة وتسول وحالت بينه وبين اخبيته حيث يوجد ذخيرته وغذاءه ومتاعه (50) ، ليشتت « **شذر مدر** » (51) ، ويفر « **كالارانب أمام السلاقي** » (52) ويتقهقر حافيا عاريا نحو فاس ، وتاركا اخبيته نهبا للثائر وخلفاؤه .

وقد وقع خبر الهزيمة موقع الصاعقة على الحضرة السلطانية ، فاضطر المولى عبد العزيز الى تأخير سفره الى مراكش بعد ان كان على اهبة مغادرة فاس ، وشرع أهل فاس يلغطون وقد اصابهم الرعب من احتمال حصار مدينتهم من قبل الثائر الذي أصبح على بعد اميال منها ، واخذوا يخزنون الاغذية ويحكمون اغلاق حوانيتهم تحسبا للحصار القريب .

وانزعجت الدول الاوربية المهتمة بالمغرب بهذه الهزيمة « **فقررت بريطانيا العظمى ارسال وحدات من اسطولها ،،، المرابط في مائلة الى جبل طارق ، وقوت اسبانيا حامياتها العسكرية بمراكز احتلالها على ساحل المغرب الشمالي من سبتة الى مليلية واعلنت حالة الاستعجال في وحداتها البحرية الراسية بقادس وقرطاجنة ، وعقد مجلس الوزراء الفرنسي اجتماعا استثنائيا بباريس لدراسة الحالة بالمغرب ، فقرر اعداد البارجة دوشايلا** Du chayla **المرابطة بوهران للتوجه على جناح السرعة الى طنجة ،،، وعزز الجيش المرابط في عمالة وهران بوحدات قوية ومعدات حديثة ووزعت وحداته على طول الحدود المغربية** » (53) .

---

50) مولاي عبد الرحمان بن زيدان مرجع سابق ص 404

51) المرجع السابق نفس الصفحة .

52) محمد المختار السوسي مرجع سابق ص 39 .

53) عبد الوهاب بن منصور مرجع سابق ص 314 و 315 .

ونتيجة لهذه الرجة التي هزت دار المخزن أخذ السلطان يعد العدة لاستئصال الثائر بوحمارة فنظم دفاعا أماميا مستعجلا لمنع قوات الثائر من التوغل نحو مشارف فاس ، ووجه رسائل بالتعبئة الى جميع القواد والعمال والولاة (54) وانتدب وزير الحرب المهدي المنبهي للقيام بمهمة القضاء على فتنة بوحمارة .

فزحف الوزير المنبهي بجيشه الجرار المعزز بعدد من القواد من أمثال عيسى بن عمر والمدني الكلاوي واخوه التهامي ويرعى السباعي وعمر اليوسي ورئيس المشور القائد ادريس بن يعيش والقائد الناجم (55) وبثلاثاء النخيلة على ضفة وادي ايناون هاجم الجيش السلطاني منازل الثائر « **مهاجمة صادقة فلم تكن الا لحظة حتى انهزموا هزيمة منكرة ،،، فهرب الثائر مجفلا** » (56) وذلك في يناير 1903 .

وكان من نتائج هذه المعركة استرداد الوزير المنبهي لمعظم ما غنمه بوحمارة في نصره السابق وافتكاك بعض الاسرى وجرح رأس الفتنة الجيلاني وفراره ثم عزم المنبهي على الزحف على « **محل كرسي امارته** » (57) وتمكن بعد حوالي شهرين من القتال من احتلالها في يوليوز 1903 (58) .

وقد أدرك الجيلاني الزرهوني بدهائه العسكري ان شيعته لن تقو على مجابهة الجيش السلطاني الذي يصل تعداده الى سبعين ألف جندي (59) والذي يتوفر على عتاد عسكري خفيف وثقيل ، « **فاقصى ما كانت تبلغه قوات الجيلاني في حالة التعبئة العامة 680 فارسا و 2680 راجلا** » (60) .

---

54) المرجع السابق ص 315 .
55) محمد المختار السوسي مرجع سابق ص 41 .
56) المرجع السابق نفس الصفحة .
57) مولاي عبد الرحمان بن زيدان مرجع سابق ص 405 .
58) عبد الوهاب بن منصور مرجع سابق ص 323 .
59) مولاي عبد الرحمان بن زيدان مرجع سابق ص 405 ومحمد المختار السوسي مرجع سابق ص 49 .
60) عبد الوهاب بن منصور مرجع سابق ص 358 .

ثم ان الجيش السلطاني أصبح يحتل مواقع استراتجية تتيح له رصد تحركاته مما يهدد بالاطباق والاجهاز عليه ، فرأى أن يتبنى تكتيكا خاصا وهو حرب العصابات حتـى ينقذ حركته من الفناء ويستنـزف قـدرات الجيش السلطاني ويهد طاقته القتالية وينشر الرعب بين جنباته وذلك :

1 ـ بشن هجومات ليلية خاطفة على محلات الجيش السلطاني ، لابادة أكبر عدد ممكن من جنودها أو اسرهم ثم التزود منها بالذخيرة والسلاح ، وقد تمكن الثائر في هجوم ليلي من ابادة طابور كان تحت قيادة يرعى السبعي ولم يفلت من المجزرة سوى القائد وثلاثة جنود (61) .

2 ـ بمحاصرة المدن (تازة) والقصبات (مسول) حتى تدرك الحاميات السلطانية « **الفاقة والخوف** » (62) ، فجنود السلطان في تازة بسبب حصار الثائر « **ذاقوا ،،، من العذاب ألوانا وكابدوا من الاهوال والخصاصة وعدم** القوت ما تحدثت به الركبان » (63) .

3 ـ بقطع الامدادات على الجيش السلطانـي بسد الطرق والمسالـك وخاصة منها الرابطة بين تازة وفاس ، فلا يمر بها الا من له قوة تجيزه (64) فقد « **اتى المدني الكلاوي مع أخيه التهامي من فاس بمال مخزني الى تازة فعورضوا في وادي الحضر ، فدافعوا عن أنفسهم وعن المال المخزني المحمول على خمسمائة بغلة ، فلم يجيزوه الا بمشقة ومقاتلة شديدة » (65) .**

4 ـ اعتصام الثائر وجنده بالتضاريس الجبلية الوعرة حتى تحصنه وتمنعه من مطاردة الجيش السلطاني .

---

61) محمد المختار السوسي مرجع سابق ص 44 .
62) المرجع السابق ص 45 .
63) مولاي عبد الرحمان بن زيدان مرجع سابق ص 407 .
64) محمد المختار السوسي مرجع سابق ص 45 .
65) المرجع السابق نفس الصفحة .

وقد جاءت هذه الخطة العسكرية بالنتائج المتوخاة منها ، فقد نجح الثائر في تجويع الجيش المخزني وتعريته وتركه يعيش في دوامة من الرعب والفزع ، وجعلته يكتفي بموقف المدافع المقهور ، وقد طير قواده « **الاعلام للسلطان بما وقعوا فيه وطلبوا اليه ان يمدهم بمدد يخلصهم من الورطة** » (66) وتسلل المنبهي من تازة الى فاس دون ان يشعر به أحد من قواد المحلات ، واجتمع بالسلطان وقدم له تقريرا ضافيا عن الحالة العسكرية بتازة والمناطق المحيطة بها « **والتمس منه بالحاح ان يخرج بنفسه ويخيم في وسط القبائل ويجتمع بالشيوخ والاعيان ، لتبديد الدعايات التي اشاعها الداعي الفتان** » (67)

فحشد السلطان « **الجنود من الاغوار والنجود وافاض فيها العدة والمال وعزز تلك الجنود بعساكره الوافرة** » (68) ، لكن محلة السلطان رغم وفرة عددها وعدتها ورغم ما سلطته من نار المدافع على جيش بوحمارة فانها لم تفلح في تخضيد شوكته ، فرأى السلطان ووزراءه وقواده العسكريون ان من الحكمة الرحيل والعودة الى فاس واصدار الامر لمحلات تازة وقصبة تسول بالانسحاب نحو وجدة (69) « **بعد ان صار التحاقهم بمحـلات السلطان في فاس امـرا مستحيلا** » (70) وبعث السلطـات بكتاب الى رعيته يشـرح فيها أسبـاب انسحابه وهي أسباب تخالف في مضمونها « **الحقيقة المرة التي كان يعرفها كل واحد** » (71) وهي عجز المخزن عن استئصال شافة الثائر ، ومما جاء في الرسالة السلطانية « ،،، **ورأينا استمرار الحرب عليهم** (على شيعة الثائر ومناصريه من القبائل) **يفضي بهم الى عموم الهلاك والتدمير ، مع ان المراد هو انقاذهم من مصارع الضلال بتربية واسترشاد وتحذير ،، وحل مع هذا ابان الشتاء الذي اشفقنا منه على المسلمين ، لاضطرارهم الى حراثة أقواتهم واقتناء معايشهم وضرورياتهم** » (72) .

---

66) مولاي عبد الرحمان بن زيدان مرجع سابق ص 408 .
67) عبد الوهاب بن منصور مرجع سابق ص 325 .
68) مولاي عبد الرحمان بن زيدان مرجع سابق ص 408 .
69) محمد المختار السوسي مرجع سابق ص 45 .
70) عبد الوهاب بن منصور مرجع سابق ص 326 .
71) المرجع السابق نفس الصفحة .
72) مولاي عبد الرحمان بن زيدان مرجع سابق ص 409 .

وبالرغم من نجاحاته العسكرية في قهر جيوش السلطان وردها على اعقابها خاسرة منهوكة ، فان الجيلاني بوحمارة ولى وجهه نحو شمال شرق المغرب ، ولم يسر نحو العاصمة فاس لاقتحامها واخضاعها لسطوته ونفوذه وهي على بعد اميال منه ، ويمكن تسويغ ذلك بما يلي :

1 ـ **عدم وثوقه في أهل فاس** : فهو كان يدرك أنهم أكثر الرعايا وعيا بأباطيله وبعد دجله ، وفيهم من يعرفه معرفة شخصية ويعلم بخفايا ماضيه المشين يوم كان يعمل بدار المخزن ، وكان يدرك ان وجوده بينهم قد يستمر لحين قصير فقط ، ليفتكوا به ويريحوا العباد والبلاد من شره .

2 ـ **وجود قواعد محلات السلطان بها** : وهي تضم عشرات الآف من الجنود المدججين بمختلف أنواع الاسلحة ، ولن يقو على مغالبتها في حرب مكشوفة ، **وهو الذي لا يملك** من الجند والعتاد الا القليل .

3 ـ **انقاذ جيشــه من فكي الكماشــة** : فهو كان يسعى بتوجهه نحو الشمال الشرقي الى تأمين جنده من مغبة الوقوع بين نيران الجيش السلطاني بتازة ونظيره الموجود بوجدة اذا ما حصل بينهما تنسيق للزحف على فتنته وكان الجيلاني يتوقع هذا خصوصا وان السلطان قد اتخذ ترتيبات عسكرية بايفاد عمه الامير مولاى عرفة لتعزيز عامل وجدة أحمد بن كروم الجبوري وايفاد الشريف محمد المراني لدعم قائد قصبة جنادة القريبة من مليلية البشير بن سناح .

وباستيلاءه على الشمال الشرقي من المغرب سوف يكسر احد فكى الكماشة ويشل الاخر .

4 ـ **البحث عن منفذ يصله بالخارج** : بزحفه نحو الشمال الشرقي كان بوحمارة يبحث عن منافذ على البحر « **يمكنه منها ان ينتصل بالعالم الخارجي ويستورد ما شاء من الاسلحة** ،،، » (73) ويكون قريبا من اسياده في الجزائر المحتلـــة .

73) عبد الوهاب بن منصور مرجع سابق ص 319 .

وفي شمال شرق المغرب استجابت لدعوته كثيرا من القبائل في انكاد والظهرا وقلعية والريف لتمتد بعد ذلك الى بعض جبالة ، وتعززت صفوف مشايعيه باربعة من المحاربين الاشداء سيقدمون له خدمات عسكرية كبيرة وهم **الشيخ بوعمامة** وهو مجاهد كان يحارب المد الاستعماري في توات ووادي الساورة قبل ان يبتلعها في مستهل القرن العشرين ، ثم **عبد الملك بن محيي الدين** حفيد المجاهد الجزائري الامير عبد القادر ، وهو جاسوس دولي عمل مع المخابرات البريطانية حينا من الزمن ، لينتقل الى العمل مع المخابرات الفرنسية **ثم عبد القادر العتيقي** المكنى **بابي حصيرة** وهو فتان كسيده ادعى في سنة 1902 بشرق المغرب أنه السلطان مولاى عبد العزيز فر من سجن لندن حيث كان مسجونا بعد اختطافه من قبل الانجليز ، الذين احلوا محله شبيها له .

ولكن دجله لم يفتن سوى عدد قليل من المناصرين بسبب قوة دعاية بوحمارة التي سرقت منه الاضواء وجعلته في النهاية يدعى « **بانه تخلى عن** حقه في الملك وقرر تأييد أخيه أمحمد » (74) ويقصد به الجيلاني بوحمارة .

وأخيرا انضم اليه **أحمد الريسوني** وهو لص شديد البأس يقيم ببلاد جبالة . وكما فشلت محاولات السلطان في حرب الجيلاني بوحمارة باحواز تازة وفاس ، فشلت أيضا في حربه بشرق المغرب ، فقد اقتحم قصبة اجنادة في 13 أبريل 1903 ، والتجأ قائدها ابن سناح تحت حماية الجيش الاسباني الى مليلية ، وعرض قاضي مدينة وجدة على الثائر طاعة مدينة وجدة في 16 أبريل 1903 ، ليطلب عاملها ومنجده الامير مولاى عرفة من السلطات الاستعمارية الفرنسية حق اللجوء بمغنية .

ولما اتصلت اخبار تدهور الاوضاع العسكرية بالحضرة السلطانية ، تم تعيين الحاجب السلطاني أحمد الركينة مفوضا بالناحية الشرقية من المغرب ، وتقرر الاستعانة بفرنسا واسبانيا لاخماد فتنة بوحمارة ، وبهذا

74) المرجع السابق ص 406 .

الصدد كاتب وزير الخارجية المغربي ابن سليمان وزير فرنسا المفوض في المغرب سان روني تاياندييي وأخبره « **ان نظر جلالة السلطان اقتضى أشخاص الحاجب السيد أحمد الركينة والقائد السيد عبد الرحمان بن عبد الصادق (باشا مدينة فاس) ومن معهما لركوب البحر من طنجة والنزول بمرسى الغزوات (في الجزائر) والتوجه منها على طريق مغنية لتحصين وجدة وما والاها من الحدود بين المغرب والجزائر وانشاء قوة مخزنية لمحو اثار الخوض والترويع التي احدثتها دعاية الثائر الفتان ، راجيا منه ان يصدر التعليمات الى حكام الجزائر ليساعدوا المكلفين المذكورين ويزودهم بالسلاح وبعض أهل المعرفة ويتسامحوا في ايواء مدد الحكومة المغربية في المراكز التي ربما تدعو الضرورة الى التجاه اليها** » (75) .

وفي نفس اليوم كاتب الوزير ابن سليمان وفي نفس المعنى سفير اسبانيا بالمغرب وعند وصول أحمد الركينة الى طنجة ابلغه الوزير الفرنسي المفوض ان حكومته مستعدة لتقديم المساعدة المطلوبة ، وكان حافز السلطان مولاى عبد العزيز على طلب مساعدة فرنسا هو يأسه الشديد من القضاء على بوحمارة وفتنته وافلات زمام الامور من يده بالمنطقة الشرقية ثم السعي لمنع المدد العسكري الفرنسي عن الثائر ، ثم العمل على تنفيذ المادة الاولى من الاتفاق المغربي الفرنسي المبرم في 20 أبريل 1902 والتي تتعهد فيها فرنسا بمد المساعدة عند الاقتضاء الى السلطان لتثبيت نفوذه على الحدود عندما يتعرض الى المشاكل .

وكان حافز الحكومة الفرنسية على الاستجابة هو جني ثمراتها بعد أن ساهم عميلها بوحمارة في انضاجها وان تستغل هذه الفرصة الذهبية لتساوم المغرب على سيادته ، سيما وانها تدخلت في ذات الوقت لتسهيل حصول المغرب على قروض من أبناكها دون ان يطلب منها السلطان ذلك ، حتى تكبله وتوهن قبضة نفوذه ، وليس معنى هذا ان فرنسا ستقطع حبل مساعداتها على الثائر بوحمارة بل ستستمر في مده بالمال والسلاح وبذلك كانت فرنسا

---

75) المرجع السابق ص 331 .

« تعينه وتعين عليه ، ولا يوجد في ذلك أي تناقض في منطق الاستعمار ، ما دام غرضه الاوكد هو ضرب المغاربة بعضهم ببعض لانهاك قواهم جميعا حتى يتم الاستيلاء على بلدهم بسهولة ،،، » (76)

وفي ماي 1903 التحق الحاجب السلطاني أحمد الركينة بمدينة مغنية وفيها التقى بمجموعة من الولاة والاعيان المغاربة الذين فروا من بطش بوحمارة ، وبعد دراسة للوضعية وحصر للمشاكل والحاجيات العسكرية ، بعث الى السلطان يستعجله ارسال مدد عسكري كبير بالبر والبحر ، ولكنه لم يتلق جوابا رغم الحاجة بارسال « **البرقية تلو البرقية والرسالة بعد** الرسالة » (77) ، فهداه تفكيره وقلة ما بيده الى الاستعانة بالجيش الاستعماري في الجزائر ، فطلب الاذن السلطاني فكان جواب السلطان الرفض القاطع والوعد بارسال مدد عسكري في أجل قريب ، ودعوة المفوض أحمد الركينة الى تجييش قوة عسكرية من قبائل الاقاليم الشرقية والصحراوية يتولى تدريبها الضباط الفرنسيين المتواجدين بالحدود ، وتعزز في زحفها ببعض الضباط الجزائريين العاملين في صفوف الجيش الاستعماري الفرنسي .

وفي موقف السلطان هذا ذكاء وبعد نظر ، فهو لم يستعن بالجيش الفرنسي مباشرة حتى لا يؤكد دعاية الجيلاني ويثير غضب القبائل وحربها ضده ، ثم بدعوة أحمد الركينة لانشاء قوة عسكرية من ابناء المنطقة كان مدفوعا الى ذلك بانقطاع الطرق والمسالك الواصلة بين فاس ووجدة ، اذ كانت خاضعة لمراقبة شيعة بوحمارة وحلفاءه من القبائل ولم تكن من وسيلة سوى طريق البحر عبر مليلية والجزائر ، وبالفعل شرع الحاجب السلطاني أحمد الركينة في تهييء الجيش ، حتى كان يوم 10 غشت 1903 زحف به على وجدة ودخلها ، وكان الجيلاني بوحمارة قد اخلاها في 10 يوليوز 1903 بعد علم من مخابراته بالاستعدادات العسكرية المخزنية فيما وراء الحدود اذ « **خشي ان تصير اسوار وجدة مصيدة يحبس في داخلها هو ومخزنه وجنده** » (78) .

---

76) المرجع السابق ص 394 .
77) المرجع السابق ص 334 .
78) المرجع السابق ص 340 .

وكان أول عمل عسكري قام به وهو محاولة اعادة فتح الطريق المؤدية الى فاس ، لكن الوحدات التي انتدبها لتنفيذ ذلك لقيت هزيمة نكراء في مستهل شتنبر 1903 من قبل بوحمارة ، الذي بادر بحصار وجدة لبعض الوقت ،

وتحت وطأة الضغط العسكري للثوار ، وتجاهل المخزن لرسائل وبرقيات الاستنجاد طلب الحاجب أحمد الركينة ، وبدون استئذان السلطان ، تدخل القوات الاستعمارية في الجزائر لاحتلال وجدة ، لكن وزير خارجية فرنسا ديلكاسى لم يقبل بهذا العرض لانه صادر عن مسؤول غير ذي وزن ، ورأى أن يصدر من نظيره الوزير ابن سليمان .

وفي أكتوبر 1903 أصدر المخزن أمره الى محلة تازة بالخروج من المدينة والانسحاب الى وجدة لتعزيز القوات المخزنية بها ، ولما علم بسيرها المتعثر نحو وجدة ، وجه لملاقاتها القائد عبد الرحمان بن عبد الصادق باشا فاس ، وبمدينة العيون باحواز وجدة نزلت محلة تازة ليلتحق بها ويقيم بينها مدة ثمانية أيام ، وقف خلالها على مدى تجذر سموم فتنة بوحمارة في قبائل المدينة « **ما جعله يحتار ويتشاءم من الحاضر والمستقبل** » (79) .

وضاق سكان الحدود ذرعا بالجيوش المخزنية التي كانت بدافع من الجوع والعري تقوم بأعمال السطو في الاسواق وبنهب بساتين ومطامير الغلال ، وقطع الطرق على التجار مما دفع بالسلطات الاستعمارية الى المطالبة بتعجيل رحيلهم حتى لا يتحرشوا بجيش الاحتلال في الجزائر .

وفي بداية سنة 1904 تبودلت رسائل بين الحاجب أحمد الركينة من جهة ، وبين السلطان ومخزنه ونائبه بطنجة ، وقد جاءت بأوامر الى أحمد

الركينة ليستأنف قتال بوحمارة والنهوض على بركة الله ، وكان يجيبهم « **بان بركة الله لا تكفي في القيام والنهوض الا اذا اقترنت باطعمة تشبع منها بطون الجنود ، واكسية تسخن بها ظهورهم وأحذية تساعد أرجلهم على المشي فوق أرض تكثر فيها الحجارة والشوك ، والا اذا طهر الجيش الضارب من عناصر الفتنة والفوضى** » (80) ، ولكن السلطان ومخزنه لم يستجيبوا لتوسلات المفوض أحمد الركينة ، فلم يكن أمامه ازاء هذا الباب المسدود الا ان طلب في يوليوز 1904 الاذن له بالعودة الى تطوان بذريعة حل مشاكل أسرته ، فجاءه الاعفاء من مهامه السياسية والعسكرية بالناحية الشرقية من المغرب ، وعين بدله الباشا عبد الرحمان بن عبد الصادق « **ولكنه لم يلبث الا أياما قليلة حتى وجد نفسه أمام نفس المصاعب التي كان سلفه يجد نفسه أمامها أي افتقار المحلة الى المؤونة والراتب واختلاف اراء قوادها وعدم انضباط جنودها وضباطها** » (81) ، فصار يكاتب السلطان ووزراءه طالبا المال والكسوة والسلاح ومكتفيا بمدافعة هجومات الثائر الذي استأسد في المنطقة ، والذي حاول استرداد وجدة أكثر من مرة بين شهري يناير ويوليوز 1905 ولكنه لم يفلح رغم أنه كبد الجيش المخزني خسائر في البشر والعتاد ، لينسحب الى قصبة سلوان ويتخذ منها عاصمة جديدة لملكه ، وليفتر القتال بين الجانبين الا من تراشق بالنيران عبر نهر ملوية .

وفي أبريل 1906 استأنف القتال بين الجانبين واستمر حتى شهر غشت من نفس السنة دحر فيه الجانب المخزني أكثر من مرة ، ليفتر من جديد اذ اكتفى كل فريق « **بمراقبة الفريق الاخر ، وصار بينهما رمزيا لا يعدو تبادل اطلاق الرصاص بين حين وآخر** » (82) ، واستمر الحال كذلك تقريبا حتى سنة 1907 التي شهدت حدثين عظيمين كان لهما اثر فظيع في استفحال تفكك الجبهة المخزنية بشمال شرق المغرب ، وقضيا على كل امل في القضاء على فتنة الجيلاني بوحمارة .

---

79) المرجع السابق ص 348 .
80) المرجع السابق ص 354 .
81) المرجع السابق ص 357 .
82) المرجع السابق ص 376 .

ففي 29 مارس 1907 احتل الجيش الاستعماري الفرنسي مدينة وجدة تحت ذريعة الثأر لمقتل الطبيب موشان Mauchamp الذي اغتيل بمدينة مراكش واقرار الامن والنظام بوجدة المتاخمة لحدود مستعمرته الجزائر .

وفي 16 غشت من نفس السنة خلع السلطان مولاى عبد العزيز بتدبير من العلماء والاعيان والقواد ، وبويع بدله شقيقه مولاى عبد الحفيظ .

وقد أدى **الحدث الاول** الى تشتيت جهود الوحدات العسكرية المخزنية بالناحية ، واختفاء كل تنسيق عسكري بينها في محاربة الثائر ، فقد اجبر الاحتلال الفرنسي وحدات وجدة على البقاء في المدينة وعدم الالتحاق بالمفوض العام عبد الرحمان بن الصادق الذي استقدمها الى الريف قرب مليلية حيث يعسكر ، ولجأت الوحدات الموجودة غربي ملوية وهي في حالة يرثى لها « **بسبب المرض والعري والجوع وانعدام السلاح** » (83) الى برزخ (84) يفصل ضاية بوعرفة عن البحر الابيض المتوسط لتحتمي به من هجمات بوحمارة الشرسة .

وأدى **الحدث الثاني** الى خلق اضطراب وفوضى في صفوف الجيش المخزني بكافة وحداته الموجودة بالشرق ، فصار الجنود المنحدرين من قبائل الحوز يتركون الخدمة « **ليلتحقوا بقبائلهم وقراهم التي دخلت في طاعـة السلطان الجديد** » (85) ، ففر كثير منهم الى مليلية والى الجزائر ، وترك المفوض العام ابن عبد الصادق الجيش الى مليلية ومنها « **الى حال سبيله** » ، وما بقى من الجيش صار ينهب بعضه بعضا ، وشرع بعض القواد يفاوضون الاسبان في مليلية بشأن اللجوء الى منطقة استعمارهم ، ليدخلوها ومن بقى

83) المرجع السابق ص 377 .
84) يقصد بالبرزخ Isthme ارض تقع بين بحرين .
85) المرجع السابق ص 379 .

معهم من الجنود في 29 يناير 1908 ، وبذلك انتهى **الشوط الاول** من حرب الثائر بوحمارة بالفشل والخيبة .

وقد اسعف عجز المحلات السلطانية الثائر الجيلاني بوحمارة ، باقامة مملكته المتصدعة ، والتي طالما حلم بها ، وقد اتخذ في بداية فتنته من مدينة تازة عاصمة ، لينقلها بعد استرداد الجيش المخزني لها في 7 يوليوز 1903 الى مدينة وجدة ليخليها في 10 يوليوز 1903 وينقلها بصفة نهائية الى مدينة سلوان القلعة الحصينة (86) في أكتوبر 1905 بايعاز من أسياده بالجزائر وحتى يكون قريبا من أولياء نعمته الفرنسيون في الجزائر والاسبان في مليلية .

وقد نظم بوحمارة منذ بداية فتنته مخزنا على غرار المخزن الشرعي بفاس ، وتبنى كل بروتوكولات الحضرة السلطانية (87) ، ومن وزراءه صالح التلمساني وزيره الاكبر وقد خلفه بعد مقتله عزوز الغياثي ومستشاره النافذ الرأي (88) كابرييل دلبرل Gabriel Delbrel (89) والذي كان في نفس الوقت « **مدير علاقاته العمومية ورئيس أركان حربه** » (90) .

---

86) تقع مدينة أو مركز سلوان قرب مدينة الناظور بالريف ، كانت قلعة مخزنية قبل ان يستولي عليها الثائر بوحمارة .

87) Ch. A. Julien مرجع سابق ص 43

88) G. Ayache مرجع سابق ص 134 .

89) كابرييل دلبرل جاسوس فرنسي مستعرب ، عمل بالقصر السلطاني كخبير عسكري ذكي وحاذق في عهد السلطانين مولاى الحسن ونجله مولاى عبد العزيز ، وقد مكنته زياراته العديدة الى جهات من المغرب بوضع دراسات جغرافية واجتماعية امد بها السلطات الاستعمارية في فرنسا حتى تهيء غزو المغرب .
طرد من خدمة المخزن سنة 1900 ليلتحق بمليلية ومنها بفتنة صديقه القديم بوحمارة ويعمل تحت امرته مقدما له خدمات عسكرية كبيرة .
وعندما اخمدت فتنته لجأ الى السلطات الاسبانية وتجنس بالجنسية الاسبانية ليتحول الى جاسوس اسباني .
له مجموعة من الابحاث منها « مذكرات عن تافيلالت » و « من فاس الى وهران » ، ومجموعة مقالات عن بوحمارة .

90) عبد الوهاب بن منصور مرجع سابق ص 337 .

واحدث الجيلاني ديونا للانشاء وكان من أبرز كتابه الفقيه الحسن الزرهوني والطالب ادريس بن بوشتا الجامعي ، واحدث مشورا لترتيب استقبالاته جعل على رأسه عبد السلام الشركي وسماه قائد المشور .

وكان يخطط لحروبه خليفتاه أبو عمامة البوشيخي وأبو حصيرة العتيقي يساعدهما عبد الملك بن محيي الدين والفرنسي كابرييل دلبرل .

ومن قواده العسكريين المرهوبي الجانب عبده الجيلاني الدكالي مول الوضوء « **وكان مغوارا من المغاوير الذين يخوض بهم المعارك الدامية ،،، وكان عنوان سعده ، فمنذ أن مات تقهقر أمر بوحمارة** » (91) .

وعلى عادة الملوك احدث الثائر لنفسه حريما يعج بالحسناوات « **فلم يكن يسمع ببنت جميلة حتى يسعى لخطبتها ونكاحها ، الى أن صار عنده من بنات القبائل الحسناوات الجميلات العدد العديد** » (92) .

وقدوة بالملوك العلويين كان يصدر رسائل وظهائر يختمها بطابعه الكبير أو بطابعه الصغير أو بكليهما ، ومن رسائله الموجهة الى القبائل ندرج هذه الرسالة الموجهة الى قبيلة بني مسارة بجبالة وفيها يحاول استدراجها الى حبالته :

« **الى خدام الاعتاب الشريفة كافة بني مسارة وفقكم الله ورعاكم وسلام عليكم ورحمة الله وبعد** :

فقد طرق بسمعكم ان المسلمين قد بايعت للنصارى على يد كبير الرعية وقد قمنا باذن من الله ورسوله غيـرة على الدين بجهاد الكفرة اللئام كمـا قال تعالـى : « ومن يتولهم منكم فانه منهم » الى غير ذلك من الآيـات

---

91) محمد المختار السوسي على مائدة الغذاء الطبعة الاولى ـ الرباط ـ 1983 ص 61 و 62 .
92) عبد الوهاب بن منصور مرجع سابق ص 371 .

الواردة في ذلك ، وعليكم ان كنتم تحبون الله والرسول والجهاد في سبيل الله كما كانت عليه أسلافكم فلا ينبغي للقبائل امثالكم ان يتغافلوا عن هذا كل التغافل ، وقد سمعتم بهذا الواقع ، وعليه فنأمركم ان تقدموا الى حضرتنا الشريفة بحركة الخيل النافعة والرومة الصحيحة بالحزم والضبط والاتقان في ذلك حتى يرتد أهل الكفرة ويرجعوا الى الجادة اصلحكم الله » (93) .

وقد ختم بوحمارة كتابه بخاتميه الكبير والصغير وبداخلها كتب محمد بن الحسن الله وليه وارخ له بـ 1325 ـ 1906 .

وكانت خزينة مملكته تعتمد على هبات اسياده الفرنسيين بالجزائر وقد ظلت علاقاته بهم خفية حتى على أقرب المقربين اليه ، وعلى الضرائب المفروضة على القبائل الخاضعة لدجله ، وعلى ما تدره الرسوم الجمركية المجباة من الديوانة برستينكا ، وعلى ما ينعم عليه به أصحاب الامتيازات الفرنسيين والاسبان المستغلين لبعض مناجم الريف ، فقد ابرم مع « **الشركة الاسبانية لمناجم الريف** » عقدا مدته تسعة وتسعون سنة سمح فيه للشركة المذكورة باستغلال حديد منجم وكسان وذلك في سنة 1907 ، وفي نفس السنة سمح لشركة اسبانية ممولة برأسمال فرنسي وهي « **شركة شمال افريقيا** » باستغلال مناجم الرصاص بجبل أفرا قريبا من منجم الحديد المذكور ، ورخص للشركتين بتشييد سكة حديدية تربط بين المنجمين المذكورين وبين ميناء مليلية القريب لنقل معادنهما الى مصانع أوربا .

وقد أدى تعامله المفضوح مع الاستعمار الى انصراف كثير من شيعته عنه ، لينقلبوا ضده ويحاربوه بشدة ، فقد حاربته قبائل قلعية بزعامة الشريف سيدي محمد امزيان الذي سيتزعم الجهاد ضد الاسبان بعد ذلك الى ان يخر شهيدا .

---

93) عبد السلام البكاري الاشارة والبشارة في تاريخ واعلام بني مسارة الدار البيضاء ـ 1984 ص 50 .

وحاربته قبيلة بني ورياغل بزعامة « **رجل القبيلة وصنديدها** » عبد الكريم الخطابي الاب الذي دبر خطة حربية للايقاع بالثائر اذ « **فتح الطريق في وجه الفتان الى ان توغل بجميع قواته في أرض بني ورياغل ، فتكبد فيها شر هزيمة في معركة تسمى بمعركة بوسلامة ، ثم فر بنفسه تاركا وراءه جميع الذخائر والاسلحة والمؤن ...** » (94) .

وعلاوة على هذا السبب ، فان الاستعمار الفرنسي والاسباني أشارا على الثائر بالسير الى فاس واخلاء المنطقة حتى يوسع الاستعمار الاسباني في مليلية منطقة نفوذه على الاراضي والقبائل المجاورة لمليلية بموجب اوفاق سرية وعلانية عقدت بين الاستعماريين المذكورين « **وليسهل على فرنسا توسيع رقعة احتلالها بناحية وجدة شرقا وناحية الشاوية غربا أثناء انشغال السلطان بقتال الدعي الذي سيزاحمه في داخلية البلاد ويهدده في عقر داره بفاس عاصمة ملكه** » (95) .

وسار في سنة 1908 نحو تازة « **في 50 فارسا هم كل من بقي معه** » (96) ، ودعا اشياعه بقبائل البرانس والتسول وغياثة وأولاد بكار وغيرهم الى مناصرته لدخول فاس قصد اقصاء أخيه مولاى عبد الحفيظ وتوطيد ملكه ، « **فاضطرمت نيران الفتنة في تلك الجبال وبين تلك القبائل من جديد** » (97) فجند له السلطان الجديد مولاى عبد الحفيظ « **جنودا مجندة من أبطال ذوي حزم وعزم ووجهها اليه** » (98) فيهم قواد جدد كمحبوب بن قاسم القائد العام للمحلة ، وسعيد بن البغدادي ، ومبارك بوخبزة ، وقواد قدامى سبق لهم مقاتلة الجيلاني منهم القائد الناجم وقائد صالح الزمراني (99) .

---

94) محمد حسن الوزاني مذكرات حياة وجهاد الجزء الثاني بيروت ـ 1982 ص 22 .
95) عبد الوهاب بن منصور مرجع سابق ص 381 .
96) المرجع السابق نفس الصفحة
97) المرجع السابق نفس الصفحة
98) محمد المختار السوسي المعسول مرجع سابق ص 66 .
99) عبد الوهاب بن منصور مرجع سابق ص 382

وقد دارت بين الجانبين معارك أهمها معركة في ديار بني ورياغل حيث « **وقعت ملحمة عظيمة استمات فيها الفريقان ، فظهروا عليه (أي الجند المخزني) وانتهبوا ما معه ، واعتقلوا من أصحابه ، فكان حادثة عظيمة على أبي حمارة ،،، وقد استمرت الحرب الى الليل ، فاستدار الجيش بالثائر الثابت في موقفه ،،، وفي الليل انسل من الحصار** ،،، » (100) ، لتلاحقه سرية **تتكون من بضعة قواد وجنود يتزعمهم القائد الناجم** » (101) ، وما زالت به حتى اطبقت عليه في مشهد بوعمارة بديار قبيلة بني مسارة بجبالة ، حيث كان يختبىء وحيدا بعدما انفض من حوله كل انصاره ، ويقول القائد الناجم وهو أول من وثب عليه وقبضه واصفا مشهد المداهمة والاعتقال ، « **دهمنا المشهد ، ولما أردنا أن ندخل اليه من الباب ، أطلق علينا النار ، فقتل وحاد منا فزغنا الى ناحية اخرى فافتحمنا المكان واوقدنا حوله النار وقد كان غير مقبو كالعادة وانما هو مسقف باعواد فوق الجدران المرفوعة ، ثم على الاعواد تراب ، فشبت النار في السقف ، فلما اشتد الدخان على ابي حمارة ، اندلق من المحل فانقضضنا عليه ، فكنت أول من لمسته يده ومعي القائد العربي ،،، ومعنا القائد البخاري من قواد جندي ، فنزعنا منه أولا الخنجر من تحت أبطه والمسدس والتمائك المخيطة بخيوط الذهب الحقيقي وهي الخفان اللذان يلبسهما الفارس ،،، ثم اخرجناه فاذا بالجند قد دهموا علينا ينتهبون كل ما في بناية المشهد وليس في المكان من الناس الا نساؤه وجواريه ،،، وقد كان جيشنا وصلنا اذ ذاك بقضه وقضيضه ، فكان كل من وصلنا يضع على الثائر يده ويقول يا ناجم هل أنا الذي قبضة أبا حمارة ؟ فاقول له نعم ياسيدي انت الذي قبضته ، أداري الناس بذلك لئلا يغلبونني عليه فيقتلونه ، وقد ازدحم علينا الناس حتى صار مرفوعا فوق الاكتاف ، واصحابي يدافعون عنه ،،، ثم أمرت جنديا معي ان ياتي ببغلة ،،، فاركبناه عليها واردفنا وراءه القائد البخاري ،،، وهو مأسور مربوط اليدين وراءه** » (102) ، وكان ذلك في يوم الاحد خامس شعبان 1327 موافق 2 غشت 1909 (103) .

---

100) محمد المختار السوسي المعسول مرجع سابق ص 66 .

101) يعرف في بعض المراجع بالقائد الناجم الاحصاني السوسي وفي مراجع اخرى باسم القائد الناجم الشرادي الدليمي .

102) محمد المختار السوسي المعسول مرجع سابق ص 70 .

وطار الخبر بسرعة الى فاس ، فأرسل السلطان من يتلقاه بجمل عليه قفص ، « **فأنزله البخاريون الغلاط الاكباد (من فوق البغلة) فسلسلوه وطوقوه بالاغلال حتى لا يكاد يتحرك بثقل الحديد ، ثم جعلوه في القفص ، ثم ربطوا القفص على الجمل** » (104) وسلموا زمام الجمل الى القائد الناجم امتثالا لامر السلطان حتى يعلم الناس من اعتقله .

ويصف القائد الناجم دخوله فاس فيقول : « ،،، **فلما دخلنا المدينة ، صار أهل فاس يتلقوننا زرافات ووحدانا ليروا أبا حمارة ، فلم تبق مخدرة فما دونها ذلك النهار الا خرجت ، وقد بلغ كراء البغال مائة ريال ، وكان يوما مشهودا ، فمشيت بالجمل حتى دخلت دار المخزن حيث المشور ، فوجدت السلطان جالسا وحوله الوزراء ، فابركت الجمل بين يدي السلطان ، ثم تقدمت فبندقت على العادة وسلمت الى يده الامانة ،،، ثم وضعت أمامه ما كنت اخذته من الاسير الخنجر والمسدس والتمايك ـ الخفين ـ وصرة فيها طوابعه التي كان يطبع بها رسائله ، فتناول السلطان بيده صرة الطوابع وهي خنشة من الملف ، فاخرج منها الطابع الكبير وجعل يقرأ ما كتب فيه ، ثم التفت الى أبي حمارة بالكلام الشديد حين يزعم في ذلك الطابع انه مولاي محمد بن مولاي الحسن ، فصار يثرب عليه (يؤنبه) بشدة ، فصار أبو حمارة يتكلم بغمغمة لا يفهم السلطان معناها ثم أمر أن ينزل أبو حمارة من قفصه الذي أغلق عليه ، فادخله البخاريون من باب الى دويرة سجن فيها ثم تفرقت المخزنية** » (105) .

وبعد ذلك بنيت له « **دكانة مرتفعة** » بمشور باب البوجات ، ووضع عليها قفص اصغر في حجمه من الاول ، كان يدخل اليه بوحمارة كل عشية ليتفرج عليه الناس ، ويقيمون الافراح بمناسبة أسره واستئصال شافة فتنته.

---

103) مولاي عبد الرحمان بن زيدان مرجع سابق ص 411 .

104) محمد المختار السوسي المعسول مرجع سابق ص 73 .

105) المرجع السابق ص 74 .

وبعد أسابيع من اعتقاله وبالضبط في يوم 10 شتنبر 1909 اعدم رميا بالرصاص بأمر من السلطان ومن قبل الباشا ادريس منو ، وعن هذه الحادثة يقول الباشا منو : « ،،، **بلغنا عن القونصو الالماني ان القونصات الدولية سيطلعون غدا الى السلطان ليتشفعوا في بوحمارة على ان يسكن طنجة ، وتكون له مؤونة من صندوق المغرب ، فامر السلطان بقتله في تلك الليلة قبل أن يسأل عنه الاخرون ، لانه لا يمكن له الا اسعافهم ،،، فذهبت لذلك ليلا مع عبد امرته ان يجيء وراءنا فيضربه بمسدس ، فدخلت الى بوحمارة باشا فقلت له آن تمام ما تقوله دائما (كان يقـول لو اطلقني السلطـــان وقومني لطوعت له كل الريف وجباله بسرعة) . فأخرج معي ، فخرجنا الى بستان هناك في دار المخزن بفاس ، فسار العبد وراءنا وأنا أفتل له في الذروة والغارب وهو مستبشر ، اذا بالعبد اعتراه خوفا بعدما سدد الى بوحمارة المسدس ، فالتفت هذا مرعوبا فصاح هذا غدر ، أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ، فبادرت بأخذ المسدس من العبد ، فضربته فانبطح فزودته ثانية في صدغه ،،، فتركناه مجندلا ،،، فابلغت للسطان الخبر ،،، فجئت فأمرت بالبنزين فصب على الرأس والجثة ، وكان في يدي نقاب ،،، فالقيته عليه فاشتعل نارا فاحترقت الجثة كلها في لحظة ،،، كذلك هلك بوحمارة الذي رجع القونصات في الغد خائبين بسببه ،،، وقالوا ان السلطان القاه للسباع فافترسته وما تقدم هي الحقيقة الناصعة » (106) .**

وبذلك أسدل الستار على فتنة خطيرة روعت المغرب مدة سبع سنوات فكانت أحد العوامل التي انهكت قواه وعجلت بسقوطه في أحضان الاستعمار كما سيأتي .

---

106) محمد المختار السوسي على مائدة الغذاء مرجع سابق ص 62 و 63 .

الفصل الثالث :

عواقب ثورة بوحمارة

تمخض عن ثورة الجيلاني الزرهوني مجموعة من النتائج سأقتصر على ذكر ثلاث منها هي ثورة الشريف الريسوني وافلاس خزينة الدولة ثم عزل السلطان مولاى عبد **العزيز** .

واذ أدرج هذه النتائج الكبرى أشير بادىء ذى بدء وقبل تفصيلها الى أن ثورة الجيلاني ما هي الا أحد الاسباب الرئيسية المبلورة لها والتي لا يمكن بأي حال اغفالها .

وفيما يلي تفصيل هذه النتائج الكبرى :

1 ـ **ثورة الشريف الريسوني** : صاحبها هو الشريف أحمد بن محمد بن عبد الله الريسوني ، ينتهي نسبه في الحسن السبط ، ابن علي بن أبي طالب الخليفة الرابع وفاطمة بنت الرسول عليه السلام ، ولد في سنة 1870 بمدشر الزينات الواقع جنوب شرق طنجة بمسافة 47 كلم ، اعتنت أسرته بتعليمه وهو لا يزال طفلا غضا ، فأحضر له أبوه فقيها من خيرة فقهاء جبالة ليعلمه القراءة والكتابة ويحفظه القراءن ويدربه على التجويد ، وبعد وفاة والده سنة 1881 انتقل الى مدشر مجمولة ببني عروس ليتعمق في دراسة علوم القرءان ، وبقى منقطعا الى الدراسة حتى سنة 1893 حين بلغه خبر اعتداء اللصوص على أسرته ونهب كل محتويات المنزل من متاع وماشية .

وقد وجد والدته مقتولة من طرفهم شنقا ، فأقسم على اخذ ثاره من اللصوص الجناة واخذ على نفسه ان يقف في وجه زعمائهم الذين افقروا السكان بنهب وسرقة أموالهم ومتاعهم واخضاعهم لنظام « **المارسات** » وهو

يعني في عرف اللصوصية « **قيام قطاع الطرق بعرض سرقاتهم بواسطة وسيط يجمع بين السارق والمسروق له لشراء أمواله واستعادتها من يد السارق بثمن أو مبلغ يتفق عليه الطرفان بواسطة هذا الوسيط ، وأصبح مع مرور الايام لهذا النظام جذور ومتحمسين تحميهم طبقة المستفيدين** » (1).

وقد كون الريسوني عصابة من شبان أقوياء وطفق يغير على القبائل واوكار اللصوص حتى ملأ صيته كل جنبات بلاد جبالة وقد اختلف المؤرخون في تقييم أعماله الدموية فتارة توصف بأعمال لصوصية ونهب واعتداء وتارة أخرى توصف بأعمال خيرة الغرض منها تطهير المنطقة من اللصوص ومنهم الحمام من قبيلة انجرة الذي قبض عليه سنة 1895 ، ثم حماية المظلومين وانصاف المستجيرين لكن الصفة الاولى طغت على أعماله الامر الذي عرضه للسجن من طرف الوزير باأحمد بعدما امطر مكتبه بسيل من الشكايات ضده ، ومكث بسجن الصويرة حوالي خمس سنوات من 1895 الى 1900 .

وفي السجن التقى ببعض اقطاب المعارضة العزيزية من علماء فاس ومراكش ، ومن الاستماع الى مناقشاتهم وقف على خطورة الاوضاع التي يجتازها المغرب وتؤكد الاحداث اللاحقة أنه قد اظهر تعاطفا مع الجبهة الحفيظية بوصفها الامل المتبقي لانقاد البلاد من السقوط الوشيك .

وفي سنة 1900 اخلى سبيله بعد ان توسط له ابناء عمومته لدى النائب السلطاني بطنجة السيد الطريس ، وعاد الى مسقط رأسه لينقطع الى الدراسة والتحصيل حتى صار من كبار الفقهاء في منطقته الا أن انعزاله لم يدم طويلا فقد عاد الى حمل السلاح من جديد (2) ويورد المؤرخ الاسباني

---

1) علي الريسوني المحامي أبطال صنعوا التاريخ للجزء الاول الطبعة الاولى ـ تطوان 1975 ص 93

2) محمد علي داهش الشريف أحمد الريسوني ومقاومة النفوذ الاجنبي مجلة دراسات عربية العدد الخامس السنة الحادية والعشرون مارس 1985 ص 109

مانويل أورطيغا Ortega سببا لذلك وهو « **المعاملة الغير العادلة التي عاملت بها السلطة المحلية الشريف مولاى أحمد بعد عودته من السجن جعلته يترك التبحر في العلم ويقوم بحمل السلاح لرد الظلم عنه** » (3) .

لا شك ان هذه المعاملة كانت مبنية على أسس وقرائن تجعله محط شبهات سيما وان الوفود كانت لا تنقطع عن زيارته سرا تطلبه الى ان يعود الى ما كان يمارسه من أعمال تبل اعتقاله (4) ، وليس من المستبعد أن يكون بين هؤلاء الزوار مبعوثين عن الثائر الجيلاني الذي وصلته أخبار شجاعته ، جاءت لتحثه على الثورة والانضمام بقبائله الى صفه ويؤكد هاريس Harris ما ذهبت اليه بأنه كان بين بوحمارة والريسوني اتصال (5) ، وقد عثر سنة 1903 في خزانة سرية للشريف الريسوني على ظهير للجيلاني يعين فيه الشريف عاملا على قبائل الشمال الغربي ، وقد ختم بطابعه الكبير باسم محمد بن الحسن (6) .

ولما كانت الحكومة المغربية تترصد تحركات الجيلاني وتحاول حصر نفوذه ، فانها بثت عيونها حول الريسوني بحكم سوابقه وهي مصيبة في ذلك ، ولكن الريسوني عرف كيف يفلت من عقالها ليعود « **الى سالف سيرته وتفنن في جولاته وصولاته ، فصار يخطف الرجال ذوي الوجاهة واليسر ، ويخفظهم رهائـن الى ان يدفع أهلهم الفديـة المعينة من المـال** » (7) . وتوغلت غارات عصاباته حتى قلب مدينة طنجة ناشرة الذعر والخوف (8) ، وامتدت يده الى خطف الاجانب ، فقام في سنة 1903 باختطاف مراسل جريدة التايمز اللندنية هاريس المذكور آنفا وكان من المستشارين المقربين

---

3) علي الريسوني المحامي مرجع سابق ص 101

4) المرجع السابق نفس الصفحة .

5) روم لاندو تاريخ المغرب في القرن العشرين ترجمة نقولا زيادة الطبعة الثانية ـ بيروت 1980 ص 66

6) Ch. A. Julien منشورات Le Maroc Face aux impérialismes الهامش 28 بصفحة 44 .

7) محمد علي داهش مرجع سابق ص 109 .

8) Ch. A. Julien مرجع سابق ص 44

للسلطان المولى عبد العزيز ، واطلق سراحه بعد أيام من استنطاقه حول المامورية التي كان يقوم بها في قبائل انجرة .

ثم اختطف في سنة 1904 ايون بردكارس Perdicaris وهو ثري امريكي من أصل يوناني اختار مدينة طنجة ليقيم فيها (9) ويعمل بها قنصلا لبلاده الولايات المتحدة (10) ، « **وقد كان يحافظ على انظمة مدينة طنجة وقوانينها** » (11) .

وقد كان لهذا الاختطاف نتائج دبلوماسية كادت تكون خطيرة ، فقد أرسلت الولايات المتحدة الامريكية ست بوارج حربية لمحاصرة مدينة طنجة وربما لتدبير انزال عسكري فيها . وعبر الرئيس تيودور روزفلت عن غضبه وسخطه بتوجيهه تعليمات جاء فيها « **برديكارس حيا أو الريسوني ميتا** » (12) ، وقد وجه السلطان جيشه لافتكاك الاسير لكنه لم ينجح في تعقب الريسوني ورجاله الى معاقله بدواخل الجبالة المنيعة .

وبعد خمسة أسابيع اعيدت الى الاسير الامريكي حريته ولكن « **بشروط مخجلة للرئيس روزفلت وللسلطان** » (13) ، فقد اجبر الاول على تادية فدية كبيرة قدرها سبعون ألف دولار ، واجبر الثاني على تعيينه حاكما على أحواز طنجة وبهذا الشأن اصدر السلطان ظهيرا في 28 يونيه 1904 جاء فيه : « **خدامنا الارضين قبيلة الغربية والفحص وبداوة وعامر الفحصية وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله وبعد فقد ولينا عليكم خديمنا القائد السيد أحمد بن محمد بن عبد الله الريسوني واسندنا اليه النظر في أموركم** » (14) .

9) روم لاندو مرجع سابق ص 64
10) محمد علي داهش مرجع سابق ص 111
11) روم لاندو مرجع سابق ص 64
12) المرجع السابق ص 65
13) المرجع السابق نفس الصفحة .
14) محمد علي داهش مرجع سابق ص 112

ومهما يكن ، فان السلطان باستجابته لمطالب الثائر الريسوني يكون قد أكد من جهة عجزه عن استئصال شافته ، وسعى من جهة ثانية الى كف شرور أعماله الطائشة حتى لا يفتح باب آخر للنفوذ الاجنبي .

ولكن الريسوني لم يرض بما كسب فاختطف في سنة 1907 ماكلين Mac lean وهو ضابط بريطاني كان مستشارا للسلطان وقائدا حرسه ، وقد قبض عليه وهو يقوم بمامورية مخزنية رسمية بجبالة ولم يطلق سراحه الا مقابل فدية قدرها ألف جنيه من أصل المطلوب وهو عشرون ألف جنيه ثم منح براءة لمحمي انجليزي كان متابعا من طرف القضاء المغربي (15) ، ولما بلغ السيل الزبى تنصل منه السلطان واعلن في نفس السنة ان الريسوني خارج عن القانون وبالتالي تجب ملاحقته والقبض عليه .

وككل انتهازي فان الريسوني ما ان علم بنجاح بيعة المولى عبد الحفيظ سنة 1908 حتى هب الى فاس معلنا طاعته وولاءه ، فانعم عليه السلطان الجديد بتعيينه عاملا على قبائل جبالة والهبط وغمارة وعددها ستة عشر قبيلة حسب المؤرخ التهامي الوزاني (16) وجعل منه باشا على مدينة أصيلا التي اتخذها قاعدة لحكم عمالته وقد أصبح الامر الناهي في منطقة نفوذه وكأنه عاهل مستقل ثم لم يلبث بعد ان اشتدت وطأة الضغط الاجنبي على المغرب ان مد يده الى اسبانيا الاستعمارية وساعدها على التوسع في جبالة والهبط (17) ولم تخمد حركته الا بتدخل محمد بن عبد الكريم الخطابي الذي اسره سنة 1925 .

يظهر مما تقدم ان ثورة الريسوني المتمثلة في اعماله الخرقاء وخروجه عن طاعة السلطان كانت بشكل او بآخر بتحريض من ثورة الجيلاني التي لا تبعد عن منطقة سطوة الريسوني الا بمرمى سهم ، فهي والحالة هذه وليدة

15) Ch. A. Julien ـ مرجع سابق ص 45

16) علي الريسوني المحامي مرجع سابق ص 123 و 124

17) جرمان عياش جذور حرب الريف مرجع سابق 1981 ص 260

لها بل وصنوة لها في تمردها على السلطة الشرعية وقيامها بأعمال تزيد من تضعضع نفوذ السلطان وهيبته في الداخل والخارج وفي عمالتها للاجنبي ضدا في بلدها مقابل مصالح شخصية دنيئة .

2 ـ **افلاس خزينة المغـرب** : ساهم الغاء الضرائب التقليدية وتأخير تطبيق ضريبة الترتيب ، وامتناع الشعب عن تأدية الضرائب الى جانب ازدياد مصاريف الجيش الذي طالت حربه للثائر الجيلاني الزرهوني والتي كانت تبلغ يوميا « **مائة وخمسين ألف ريال** » (18) ، في استنفاذ مدخرات الخزينة المغربية التي لم تعد تعتمد الا على رسوم الجمارك كمورد تموين .

فلم يجد المغرب ازاء فراغ خزينته وتصاعد نفقات حرب بوحمارة التي استمرت حتى سنة 1909 الا ان يمد يده طالبا قروضا من الدول الامبريالية التي لها مصالح فيه ، فانزلق بذلك في طريق خطير أفضى بكثير من الدول التي ركبته تبله الى فقدان استقلالها ومنها مصر وتونس .

ومع هذا الخصاص وتمسكا بسياسة التوازن الدولي التي خطها السلطان مولاى الحسن الاول ، حرص خلفه المولى عبد العزيز على عدم الاعتماد على دولة واحدة في الحصول على القرض المطلوب ، حتى لا يتقوى نفوذها وتسعى الى الانفراد بالمغرب وضم يديها عليه ، فاتصل السلطان بدول فرنسا وبريطانيا واسبانيا فحصل من كل منها على قرض بمبلغ سبعة ملايين ونصف من الفرنكات وذلك في سنة 1902 و 1903 وقد بلغ مجموع قيمته 22،5 مليون فرنك ، منحت بفائدة 6 ٪ لكن المغرب لم يتسلم من هذا المبلغ الا 13،5 مليون فرنك ، بينما جرد من بقية المبلغ والتي تمثل 40 ٪ لتغطي قيمة الفوائد المستحقة (19) ، وقد وضع المغرب كضمان لتأدية دينه خزينة الجمارك بطنجة التي اخضعت لمراقبة موظفين انجليز وفرنسيين (20) .

---

18) محمد المختار السوسي المعسول الجزء العشرون مطبعة الجامعة ـ البيضاء سنة 1961 ص 42.
19) البير عياش المغرب والاستعمار ترجمة ادريس بنسعيد وزميله سلسلة معرفة الممارسة ط 1 1985 ص 71
20) محمد خير فارس المسألة المغربية معهد الدراسات العربية القاهرة 1961 ص 157 .

وما ان انتهت سنة 1903 حتى نفذت كل أموال القرض في تأدية بعض اقساطه وفي تمويل الجيش السلطاني المحارب للثائر الجيلاني بالسلاح والذخيرة والاجور ، لتقع الخزينة من جديد في ضائقة مالية لم يجد معها السلطان بدا من طلب قرض جديد ، ومرة ثانية حاول طلبه من دول متعددة ولكنه فشل في مسعاه :

* لان اسبانيا نفسها كانت بحاجة الى أموال وكانت تعتمد في ذلك على استيراد أموال فرنسية بواسطة بنك باريس والاراضي المنخفضة الذي كانت له قوة مالية في اسبانيا وبمساعدته منحت اسبانيا حصتها من القرض الاول .

* لان ألمانيا التواقة الى أن تصبح قوة صناعية عظمى كانت تميل الى استهلاك ما لديها من أموال فائضة في النهوض بمشاريعها الصناعية الوطنية .

* لان بريطانيا كانت تعاني من مصاعب مالية نتيجة حرب البوير ، اثرت على ايقاع اقتصادها فاضطرت الى استيراد أموال من فرنسا لسد عجزها (21) وأدت الى تقليص مبادلاتها التجارية مع الخارج فمثلا انخفضت مبادلاتها مع المغرب من 40 ٪ سنة 1904 الى 29 ٪ سنة 1905 (22) .

من أوضاع هذه الدول المالية نقف على ان فرنسا كانت في وضع مالي مريح وبالفعل فقد كانت الدولة الوحيدة التي تمتلك رصيدا كبيرا من رؤوس الاموال الجاهزة للتصدير (23) وما عليها الا أن تلعب ورقة هذا الامتياز الى أبعد حد بعد أن تحطمت ورقة سياسة التوازن الدولي من جراء مصاعب الدول المنافسة وتفاقم الحالة المالية في المغرب الذي لم يعد لها خيـــار .

---

21) المرجع السابق ص 159
22) البير عياش مرجع سابق ص 77
23) محمد خير فارس مرجع سابق ص 159

وفي يناير 1904 أرسل السلطان الى فرنسا يطلب مساعدتها المالية ، فوافقت على منحه قرضا كبيرا بمبلغ 62،5 مليون فرنك يتكلف بتأديتها كونسورسيوم Consortium ابناك فرنسية يرأسها بنك باريس والاراضي المنخفضة بفائدة 5 ٪ .

ولكن المغرب لم يتسلم من المبلغ المذكور الا 48 مليون فرنك أي 75 ٪ من القيمة الاجمالية والباقي صرف في تسديد قروض 1903 وفي أداء ثمن بضائع استلمها المغرب دون أن يؤدي ثمنها ، وكضمان فرض على المغرب تخصيص 60 ٪ من الايرادات اليومية للجمارك في كافة الموانيء المفتوحة للتجارة لتسديد اقساط القرض وفوائده ، وألزم المغرب بالتوجه الى اتحاد الابناك الفرنسية اذا ما رغب في قروض مستقبلية ثم اسناد مهمة انشاء بنك وطني لهذا الاتحاد .

وفي سنتي1905 و 1906 اغرى السلطان بوجوب استدانة مبالغ صغيرة ولكنها متعددة لابتياع أسلحة فرنسية وقد اشترط عليه ابتياعها فقط من شركات فرنسية (24) ، وقد بلغ مجموع قروض المغرب في سنة 1906 ما قيمته 206 مليون فرنك (25) .

لم يحصل المغرب من هذا المبلغ الضخم سوى على حصة هزيلة ، بينما البقية اقتطعت منه في شكل فوائد وعمولة ، وبذلك لم ينجح في فك ضائقته المالية بل زاد من حجمها وخاصة بعد تخليه عن جزء كبير من مداخيل مصلحة الجمارك ، فاوقع نفسه « **في مصيدة لم يعد بالامكان الانفلات منها** » (26) ، وفتح شهية الرأسماليين ورجال الاعمال الذين قدموا الى المغرب أقل ما يمكن من المال وحصلوا منه على أكثر ما يمكن من الامتيازات (27) وسمح لفرنسا بان تحتل موضعا ممتازا في علاقاتها مع المغرب ، جعلها

24) روم لاندو مرجع سابق ص 71
25) J. Brignon Histoire du Maroc ص 326 .
26) البير عياش مرجع سابق ص 78 .
27) محمد خير فارس مرجع سابق ص 163 .

تطيح برأس سياسة التوازن الدولي التي انتهجها المغرب منذ مولاى الحسن ، فزادت نسبة تجارتها معه من 24 ٪ سنة 1904 الى 29 ٪ سنة 1905 (28) وكونت بالمغرب شركات مالية وتجارية نذكر منها « الشركة المغربية » التي كانت تمتلك فروعا في عدة مدن منها فاس وطنجة والدار البيضاء وفي هذه الاخيرة كانت تقوم باشغال في مرساها ، وكانت تشرف على ادارة أراض فلاحية واسعة في الشاوية والغرب (29) .

وتشكلت في سنة 1904 « لجنة افريقيا الفرنسية » التي انبثقت عنها « لجنة المغرب » من أجل القيام بجرد الثروات المغرب المختلفة وتسهيل أعمال المنقبين والتقنيين والعلماء (30) ، وبذلك تكون ثورة الجيلاني قد أدت بمساهمتها في افلاس خزينة المغرب الى تعجيل خطى التغلغل الاستعماري الفرنسي في المغرب ، بدعم سياسة التغلغل العسكري عبر الحدود بسياسة التغلغل المالي والاقتصادي عبر القروض ، لتغدو فرنسا القوة الامبريالية الاولى في المغرب المؤهلة لاستعماره وقطف الثمرة التي طالما حنت الى اعتلاءها منذ استعمار الجزائر 1830 .

وستجني فرنسا ثمرتها في عهد السلطان مولاى عبد الحفيظ (1908 ـ 1912) الذي انساق هو الاخر في طريق القروض ، بطلب قرض مائة مليون فرنك سنة 1910 من أجل تسديد ديون سلفه وتغطية المصاريف التي يتطلبها انجاز الاشغال في المراسي ثم منح تعويضات للشركة المغربية وللضحايا الاوربيين الذين تعرضوا لاعتداءات المغاربة أو مسهم ضرر بسبب القصف الفرنسي لمدينة الدار البيضاء في 5 غشت 1907 .

وبذلك لم يحصل السلطان على أي شيء من المبلغ المذكور ، وبالمقابل وضع الحبل في عنق المغرب ليسلم زمامه الى فرنسا التي استولت على كل

28) البير عياش مرجع سابق ص 77
29) المرجع السابق ص 81 و 82
30) المرجع السابق ص 78 .

مداخيل الجمارك وعلى مداخيل الاراضي المخزنية القريبة من الموانىء التجارية مما ولد سخطا شعبيا أفضى الى توقيع الحماية في 30 مارس 1912 .

3 ـ **عزل السلطان مولاي عبد العزيز** : تمثل سنة 1903 بداية تصدع هيبة السلطان مولاي عبد العزيز (31) ففيها بدأ يتأكد للرأي العام المغربي أن المخزن عاجز عن صد النفوذ الاجنبي المتنامي في المغرب .

* ففي هذه السنة تأكد عجز الجيش السلطاني عن اخماد فتنة الجيلاني الزرهوني الامر الذي أدى الى خلق حالة من عدم الاستقرار قرب الحدود الشمالية الشرقية مما أعطى لفرنسا فرصة سانحة للتدخل في شؤون المغرب من خلال مستعمرتها بالجزائر .

كما أدى عجز الجيش السلطاني الى سوء أحوال الحامية المخزنية بوجدة وتضييق الخناق عليها من قبل الثائر وجنده ، ولم يعد بالامكان ارسال النجدات والمؤن والاموال اليها الا عن طريق الجزائر ، مما أعطى أيضا لفرنسا فرصة سانحة للمساومة .

* ففي هذه السنة تصاعدت التحرشات الاستعمارية الفرنسية عبر الحدود الجنوبية الشرقية عقب توقيع بروتوكول 1901 ، فقد احتلت فرنسا سنة 1903 نقطة صحراوية استراتجية هي بشار (32) التي تلتقي عندها طرق تجارية تربط بين غير الاعلى وتافيلالت في الشمال وبين توات والسودان في الجنوب لتوالي زحفها في السنوات التالية فتحتل 1904 رأس العين لبني مطـر .

* ففي هذه السنة ارتمى المغرب في تيار الاقتراض ، وهو تيار خطير جرف الكثير من الدول المستضعفة وجردها من استقلالها وقد تناولنا هذا

---

31) Ch. A. Julien مرجع سابق ص 74 .

32) سيسميها الاستعمار فيما بعد بكولمب بشار Colomb Bechar نسبة الى الضابط الفرنسي كولمب الذي كان قد انجز بها أعمالا استطلاعية مهدت السطو عليها .

الموضوع بشيء من التفصيل في النتيجة الثانية .

وقد تبع هذه الاحداث تلاحق أحداث أخرى انهالت على هيبة السلطان تمزيقا ولم يفتنا من ذكرها في هذا البحث ، سوى حدث مؤتمر الجزيرة الخضراء سنة 1906 الذي قبل المغرب بتوصياته بعد لأي ، ليفقد بمقتضاها **« استقلاله الاقتصادي وجزءاً من سيادته لانه أصبح أمام نوع من الحماية الدولية »** (33) .

وتؤكد جميع الاحداث التي عرفها العهد العزيزي حقيقة واحدة وهي تعاظم الضغط الاجنبي على المغرب ، الذي أصبح مشدودا من تلابيبه وشيك السقوط في أحضان الامبريالية النهمة ، فكان من الضروري أن يبحث له عن حل جذري ينقده من الوضعية التي تردى فيها والتي تنذر بفقدان استقلاله ، فرأى الخاصة والعامة أن الخلاص يمكن في عزل السلطان المولى عبد العزيز الذي أصبح في نظر القبائل غير موجود لا اعتبار له (34) ، وفي نظر العلماء **« المذنب المتواطيء قهرا مع عدو الله والدين في احتلال آخد ، يعم البلاد »** (35) ومبايعة أخيه وخليفته بمراكش المولى عبد الحفيظ .

وباعتبار خصوصية الظرفية التاريخية التي كان يجتازها المغرب وقتئذ ، فانه لا يمكن ان نلقى بكل اللوم على شخص المولى عبد العزيز فيما آلت اليه الاوضاع في البلاد ، فالسلطان المذكور رغم ضعف معرفته بأمور الحكم فانه سار على شاكلة ابيه مولاي الحسن في مواصلة اصلاح أجهزة الدولة وفي لعب ورقة التوازن الدولي ولم يستبد بامر الملك كله ، فزاد في سلطة وزراءه واشرك ممثلين عن الشعب في حل مسائل يتوقف عليها مصير البلد (36) ، فأنشأ مجلسا للاعيان يعتبر نواة للتطور الدستوري (37) في المغرب ، وكان

---

33) البير عياش مرجع سابق ص 80 و 81 .
34) Ch. A. Julien مرجع سابق ص 74 .
35) الطيب الازرق مشروع دستور جماعة لسان المغرب مجلة تاريخ المغرب العدد الاول فبراير 1981 ص 166 .
36) محمد خير فارس مرجع سابق ص 117
37) علال الفاسي الحركات الاستقلالية ط « الرباط 1980 ص 94

ينتصح بالعلماء ويعمل بتوجيهاتهم ، « **وطالما تحدث الفرنسيون عن المقاومة التي قام بها مجلس الاعيان المغربي ، وطالما اخذوا على عبد العزيز اعتذاره عن قبول اقتراحات الدبلوماسية الفرنسية بان ممثلي الشعب قد رفضوها وأن رجال الدين لم يقبلوها** » (38) .

وتأسيسا على ما سبق ليس في السلوك التسييري للمولى عبد العزيز ما يلام عليه ما دامت طويته سليمة ووجهته واضحة ولكن اللوم كل اللوم يقع على :

1 ــ سلوكه الشخصي : وفي هذا يقول المؤرخ روم لاندو « **جريمته الكبرى كانت معاشرته للاوربيين ولم يكن هذا ليعني اعتراضا على اتصالات شخصية أو الانصراف الى اللعب الغربية بقدر ما كان اعتقادا بأنه كان يبيع بلاده الى الكفار الجشعين** » (39) .

فالشعب المغربي المطبوع على الاحتراس والنقمة على أوربا الطامعة الغادرة كان يرى في علاقات السلطان بالاوربيين وبمظاهر مدنيتهم اغترابا وخروجا عن التقاليد والقيم ومسا بقدسية العقيدة الاسلامية ، حتى ولو كان الامر يتعلق بخصوصياته ، لان كل حياة السلطان ملكا لشعبه ، وادنى ريبة فيها قد تؤدي الى الانتقاص من هيبته .

2 ــ حاشيته كانت تتألف من وزراء وصوليين ومستشارين أجانب دهاة وتجار أجانب محتالين جشعين ــ وقد تحدثنا عنهم بشيء من التفصيل في مواضع سابقة ــ وكان سعي الجميع يرمي الى خلق متاعب للسلطان للنيل من هيبته وتنفير الرعية عنه (40) .

38) المرجع السابق نفس الصفحة .
39) روم لاندو مرجع سابق ص 67 و 68 .
40) Ch. A. Julien مرجع سابق ص 74 .

3 ـ ازدياد الضغط الاجنبي على البلاد : فالمغرب بحكم أوضاعه الداخلية وبحكم الاوضاع الدولية المحيطة به كان أضعف من ان يقاوم التيار الاستعماري المتعاظم المتربص به بالرغم مما انجزه من اصلاحات وما قام به من تحركات ومناورات دبلوماسية ، فمصير المغرب « **لم يعد متوقفا على أعمال السلطان ، ولا على رد فعل الشعب لهذه الاعمال ، فان السياسة الدولية ومطامع الاستعمار الاوربي كانت قد قطعت شوطا بعيدا في التدخل في شؤون المغرب والاهتمام به وكانت هذه القوى على وشك ان تنتصر** » (41) .

وعندما بلغت الازمة الداخلية ذورتها باحتلال الدار البيضاء والشاوية وجدة سنة 1907 « **ثارت القلوب وجحظت العيون ونغلت الصدور من الحكومة** وقد ذهبت سمعتها وانكشفت قوتها الادبية »، فكان كل مشمئز من ذلك **يضع رجاءه في خليفة الجنوب لعله يستدرك الامر فيجبر ما تصدع** » (42) .

وقد انعقد في السنة المذكورة مؤتمر بمدينة مراكش بحضور القواد الكبار عيسى العبدي والمدني الكلاوي وعبد الملك المتوكي والطيب الكنتافي وباشا القصبة ابن كبور وبعض العلماء والمفكرين والاعيان ، « **وكان محور المباحثات القيام الى الدفاع عن الدار البيضاء والنظر في الضعف الشديد الذي وقعت فيه حكومة المولى عبد العزيز أمام بوحمارة ، ثم انجلى المؤتمر عن القيام بالواجب بكل ما أمكن تحت راية المولى عبد الحفيظ** » (43) .

وقد خضع المولى عبد الحفيظ لثلاث بيعات متوالية هي كالاتي :

1 ـ تمت البيعة الاولى بمدينة مراكش في 16 غشت 1907 بمحضر الباشا وكبار قواد الحوز والاطلس ونائب السلطان بتافيلالت والعلماء وبتأييد كبير من الشيخ المجاهد ماء العينين ، وفي نفس الوقت زكيت حكومته التي

41) روم لاندو مرجع سابق ص 68 .
42) محمد المختار السوسي على مائدة الغذاء الطبعة الاولى الرباط 1983 ص 51 .
43) المرجع السابق ص 52

تتألف من ابن كبور كوزير صدر ، والمدني الكلاوي كوزير للحرب ، وعبد الملك المتوكي كوزير للمالية وعيسى بن عمر العبدي كوزير للخارجية .

وقد حاول السلطان مولاى عبد العزيز اجهاض هذه البيعة بمنع اخيه من دخول العاصمة فاس ، فدارت بين الاخوين حربا « **فاترة** » (44) ، انتهت بتراجع المولى عبد العزيز وتنازلــه عن العرش من تلقاء نفسه والاعتــراف بالسلطان الجديد ثم الانسحاب الى مدينة طنجة .

2 ـ تمت البيعة الثانية بدخول المولى عبد الحفيظ الى فاس وفيها اعترف به من طرف علماء المدينة ووجهاءها سلطانا للمغرب بكامل ترابه وذلك في 4 يناير 1908 ، وذلك بواسطه بيعة مشروطة « **خرجت بنظام الحكم في المغرب من الملكية المطلقة الى ملكية دستورية** » (45) ، ومما جاء في نص هذه البيعــة :

« ان مولانا أمير المؤمنين الذي انتظمت بيعته في اعناق المسلمين ، أجل من صدقت فيه ظنونهم ونياتهم وتوجهت اليه آمالهم وامنياتهم ، ومدت له الرعية ازمتها وقدمت له الوفود اعنتها راجين من شريف همته وكريم عنايته ان يلبسهم رداء نعمته ،،، ويسعى جهده في رفع ما أضر بهم من الشروط الحادثة في الخزايرات (الجزائر الخضراء) حيث لم توافق الامة عليها ولا سلمتها ولا رضيت بامانة من كان يباشرها ، ولا علم لها بتسليم شيء منها ، وان يعمل وسعه في استرجاع الجهات المأخوذة من الحدود المغربية وأن يباشر اخراج الجنس المحتل من اللتين احتل بهما ، ويزين صحيفته الطاهرة بحسنة استخلاصهما ، وان يستخير الله في تطهير رعيته من دنس الحمايات ، والتنزيه من اتباع أشارة الاجانب في أمور الامة لمحاشاة همته الشريفة عن كل ما يخل بالحرمة ، وان دعت الضرورة الى اتحاد أو تعاضد فليكن مع اخواننا المسلمين كآل عثمان وأمثالهم عن بقية الممالك الاسلامية المستقلة ، واذا

---

44) روم لاندو مرجع سابق ص 68 .
45) علال الفاسي مرجع سابق ص 96 .

عرض ما يوجب مفاوضة مع الاجانب في أمور سلمية أو تجارية ، فلا يبرم أمر منها الا بعد الصدع به للامة كما كان يفعله سيدنا المقدس الحافظ للامة ، حتى يقع الرضى منها بما لا يقدح في دينها ولا في عوائدها ولا في استقلال سلطانها ، وأن يوجه ايده الله وجهته الشريفة لاتخاذ وسائل الاستعداد للمدافعة عن البلاد والعباد ، لانها أهم ما تصرف فيه الذخائر والجبايات » (46).
فتزكية هذه البيعة يبقى مرهونا بتحقيق شروطها والتي تتمحور أساسا على وجوب طرد النفوذ الاجنبي بجميع أشكاله من المغرب فيبادر الى :

1.2 عدم الاعتراف بالاتفاقيات المجحفة بحقوق المغرب ومنها مقررات مؤتمر الجزيرة الخضراء لانها من جملة ما سمحت به « **سمحت لفرنسا بمركز ممتاز في البلاد ، والمغاربة لا يريدون ان يعترفوا لفرنسا ولا لغيرها بمركز لا يعترفون به للجميع ، والاجانب بالنسبة اليهم كلهم سواء** » (47) .

2.2 بتحرير مناطق الحدود في توات وفكيك ومدينة الدار البيضاء وباديتها الشاوية ثم مدينة وجدة من الاحتلال الفرنسي .

3.2 بتحرير المغلفة قلوبهم من المغاربة من دنس الحمايات القنصلية التي أزالت « حجاب الهيبة عن بلاد المغرب » (48) ، وصارت بمضي الوقت أشبه بثعبان قوي « لم يفتأ يلف جسم المغرب ويضغطه **بقوة ويغرز فيه أنيابه حتى انهك قوته واعجزه عن كل مقاومة ودفاع » (49)**

4.2 بالتخلي عن مشورة الاجانب في أمور الدولة والرعية ، لان اراءهم لا تخدم في كل الاحوال الا مصالح دولهم الاستعمارية ، الامر الذي يؤذى سيادة المغرب ويهدد استقلاله ، واذا كان لابد من مشورة فلتكن مع الممالك الاسلامية المستقلة لانها من المفروض ان تكون صادقة ومجردة من أية اطماع .

---

46) يوجد النص الكامل للبيعة بمؤلف مولاي عبد الرحمان بن زيدان المعروف باتحاف اعلام الناس الطبعة الاولى 1929 بالرباط ما بين 449 و 453 . وبمذكرات محمد حسن الوزاني المعروفة بحياة وجهاد التاريخ السياسي للحركة الوطنية التحريرية الجزء الاول ص 71 بيروت 1982
47) علال الفاسي مرجع سابق ص 95 .
48) أحمد بن خالد الناصري الاستقصاء لاخبار دول المغرب الاقصى الجزء التاسع البيضاء 1954 ص 101 .
49) عبد الوهاب بنمنصور الوثائق المجموعة الرابعة مديرية الوثائق الملكية الرباط 1977 ص 9.

5.2 بالتزام اليقظة والاحتراس والروية عند عقد اتفاقيات مع الدول الاجنبية وحتى يتحقق منها ما لا يضر بمصالح الامة وقيمها وجب مشورة الامة فيها حتى تباركها أو ترفضها .

فالبيعة الحفيظية ترمي وكما يقول الاستاذ علال الفاسي الى تحقيق هدفين همـا :

« أولا القضاء على الدسائس الاجنبية بالمحافظة على الاستقلال التام وثانيا القيام باصلاح سياسي يسير بالامة نحو نظام دستوري متين » (50) .

3 ـ رفضت الدول الاجنبية الموقعة على ميثاق الجزيرة الخضراء الاعتراف بالمولى عبد الحفيظ كسلطان على المغرب ، ورهنت موافقتها بتحقيق مضمون المذكرة الجماعية التي ارسلتها اليه في 14 شتنبر 1908 ، وهي تنص على :

1.3 **« تحمل مسؤولية الديون السابقة .**

2.3 **تحمل مسؤولية الدفع عن الاضرار الناجمة عن حوادث البيضاء .**

3.3 **التخلي عن الجهاد وتبليغ ذلك الى المدن والقبائل .**

4.3 **التعهد باتخاد كل التدبير اللازمة لتأمين سلامة وحرية المواصلات حول الموانيء وعلى الطرق الرئيسية .**

5.3 **ان تحتفظ الدول بحق المطالبة بصورة مباشرة بتسوية المسائل المتعلقة بمصالحها وخاصة اسبانيا وفرنسا مثل دفع نفقات الاحتلال وتعويضات القتلى »** (51) .

---

50) علال الفاسي مرجع سابق ص 96 .
51) الطيب الازرق مرجع سابق ص 110 .

جميع هذه الشروط تناقض بيعة فاس وتسعى الى ضربها ، وبالتالي اسقاط بيعة المولى عبد الحفيظ وخلق حالة من الفوضى وعدم الاستقرار في المغرب يتيح للدول الاستعمارية أو لبعضها فرصة لتدخل باسم النظام والامن

ولم يجد السلطان مولاى عبد الحفيظ ازاء هذه المناورة الدبلوماسية الخبيثة الا ان يرد بالايجاب على المذكرة وجاء في رده : « **انني اعترف بالمعاهدات المعقودة بين اسلافي وبين الدول ، وبصورة خاصة ميثاق الجزيرة الذي اعتبره كاساس لازدهار وتقدم السلطنة السعيدة من الناحية السياسية والاقتصادية ، املين أن يضمن هذا الميثاق استقلال بلادنا وان يحقق لها اصلاحات نافعة** » (52) .

وقد طمأن هذا الرد الدول الامبريالية فبادرت الى الاعتراف به كسلطان على المغرب في أواخر شهر دجنبر 1908 فكانت بذلك البيعة الثالثة .

ولم تمر سوى بضعة أشهر حتى ظهر فشل المولى عبد الحفيظ في تحقيق ما التزم به في بيعة فاس الذي نودي به فيها سلطانا للجهاد ، ولم يلبث ان تحول تحت ضغط فرنسا والدول الامبريالية الاخرى الى حالة الخضوع تدريجيا (53) ، ليخضع لكل الشروط التي برر بها خلع أخيه (54) .

ويكون المغرب في ثورته الحفيظية وبتجاهله لقبضة الاجنبي التي تزيد تحكما في المغرب أشبه بطائر دجاج قام من ذبحه مهرولا وهو يعتقد أنه قد أفلت من يد ذابحه فاذا به بعد بعض الوقت يسقط صريعا عند قدميه .

---

52) المرجع السابق نفس الصفحة .
53) الدكتور صلاح العقاد المغرب العربي ط 3 1969 ص 261
54) الطيب الازرق مرجع سابق ص 110 .



تعليق

تعد ثورة الجيلاني بوحمارة ، وبحق أخطر فتنة عرفها تاريخ المغرب الحديث والمعاصر فقد كانت أحد العوامل الجوهرية التي ساهمت بقسط لا يستهان به في الاجهاز على استقلال البلاد ، وتركها خائرة صرعى لا تقو على القيام والحركة ، وقد نجح بوحمارة في قهر جيوش السلطان الجرارة المتمرسة المدججة بالسلاح والمدفعية ، وهو لا يملك من الجند والفرسان الا عدد قزم ، ومن خلال استقصاء الاحداث واستقراءها نقف على ان نجاحه كان يرتكز على عاملين اثنين هما :

1 ـ تمكن دعايته من عقول عامة الناس وهي تقوم على ركيزتين أساسيتين أولاهما تنفير العامة من السلطة الشرعية بوصمها بالخضوع للاجنبي الكافر الغاصب المتربص بالبلاد والعباد ، وثانيهما ايهام العامة وحملها على الاعتقاد بأنه أمير علوي شريف اغتصب ملكه ، وأنه حامل لرسالة الجهاد لتطهير البلاد من دنس الاجنبي ، ومن الذين يسيرون في ركبهم ، ومثل هذه الدعاية ارتبط نجاح سريانها بصفات توفرت في رأس فتنة الجيلاني بوحمارة فكان :

1.1 كان « **الرجل ذكيا نبيها ذا مسكة من العلوم اللغوية والدينية ،،، اوتي من ذلاقة اللسان والقدرة على التاثير في نفوس مخاطبيه الحظ الكبير** » (1)

2.1 كان يوهم الناس بأنه صوفي درقاوي متبحر في علوم الدين ، شديد النسك والزهد « **يجنس حاسر الرأس يبكي زمانه** » ، ويقضي ليله في الصلاة والتعبد ليروم المخزن الشرعي بالمروق والانحراف عن جادة الدين ، وكانت

1) عبد الوهاب بن منصور مرجع سبق ذكره ص 304 و 305 .

رهبنته تستهوي « **قلوب المتشوقين الى الخلاص من وضعية الذل والمسكنة ومن أيام الضعة والمشئمة** » (2) .

3.1 كان يوهم ضعاف العقول من الناس بأن له كرامات خارقة ليس مثلها شيء ، وقد زادت في عدد المفتونين به ، فعلاوة على بعض أعمال السحر والشعوذة التي كان يبهر بها مشاهديه وياسرهم (3) ، وعلى ما كان ينطق **به من عبارات** « **كسجع الكهان** » (4) ، كان بوحمارة « **يستعمل الات غربية حديثة الصنع لا عهد للمغاربة بها ، كالات الفونوغراف واسطواناتها ، فكان اذا سجى الليل وعم السكون ، وخلا بنفسه في خيمته ، يضع على تلك الالات اسطوانات سجلت عليها آيات قرآنية واذكار صوفية ،،، فيسمع اتباعه الحافون من حول الخيمة قرآنا يتلى واورادا تملى وحضرة صوفية تقام فلا يشكون في ان الملائكة والجن يخدمونه وان اللــه بالتالي معه** ،،، » (5) .

كما كان يزعم للناس بأنه يريهم الشمس في عز الليل باشعاله لحراقيات قوية النور ، وكان كثير من المفتونين بدجله يعتقدون أن الجيلاني خالد لا يموت وقد تعززت هذه الخرافة وانبثقت من احداث قيل فيها أن بوحمارة قضى نحبه مقتولا ، فاذا به بعد حين يظهر للملأ معافي وفي أكمل قوة ، ومنها ان الثائر جرح في معركة له ضد جيش المنبهي ، فجرح وانقطعت أخباره فخاله الناس أنه مات متأثرا بجروحه « **وأرسل السلطان رسائل بهذا المعنى الى رعاياه في جميع جهات المملكة ففرحوا بالنبأ السار واظهروا معالــم الزينة والاستبشار** » (6) .

وحدث له مرة أخرى ان اصيب برصاصتين وهو يقاتل جيش المفوض

---

2) الدكتور اسماعيلي مولاي عبد الحميد العلوي تاريخ وجدة وانكاد في دوحة الامجاد الجزء الاول البيضاء 1985 ص 208 .
3) محمد المختار السوسي المعسول مرجع سبق ذكره ص 37 .
4) عبد الوهاب بن منصور مرجع سابق ص 308 .
5) المرجع السابق ص 324 .
6) المرجع السابق ص 323 .

أحمد الركينة ، فاشاع الجنود أنه قتل وتكاتب المسؤولون يهنيء بعضهم بعضا (7) .

وحتى بعد اعدامه ، لم يصدق كثير من السذج المفتونين أنه لقي مصرعه ومنهم صهره محمد بن شلال الريفي القلعي الذي « **كان يجزم بعدم موته ورجوعه يوما لسطوته** » (8) .

4.1 كان ينتحل بعض صفات الامير مولاى أمحمد ، حتى يظن الناس **أنه الامير الحقيقي وما عداه فهو كاذب** ، وقد عرف بالامير المذكور عور بعينه اليسرى ، فكان الدعي « **يرخي جفن عينه اليسرى عندما يستقبل الزوار والوفود ليوهمهم أنه الامير مولاى احمد ،،، وبذلك صدقه البسطاء والاغرار الذين لم يكونوا قادرين على التمييز بين أمير حقيقي وأمير مزيف بسبب انعدام وسائل التبليغ وضعف أسباب الاتصال والاختلاط** » (9) .

وكان يركب سلوك الكرم باغداق المال واللويز على الفقراء حتى يتوهم الناس أنه وبدون ادنى شك « من بيت الامارة » (10) .

5.1 كان شديد البطش بمعارضيه والراغبين عن دعوته ، وقد ملأ رعبه كل جنبات المغرب الشرقي ، **وجعل** الكثير من القبائل والحواضر تعلن طاعته اتقاء لبطشه وشروره ، فاهل تازة سلموا له « **خوفا من بطشه بعدما يئسوا من وصول نجدات عسكرية من فاس** » وكذلك فعلت وجدة عندما عرضت عليه طاعتها وولاءها ، وتبين للمفوض السلطاني أحمد الركينة ان سكان المنطقة الشرقية من المغرب ، يدركون دجله وبهتانه « **وان قلوبهم لم تنحرف عن المخزن الا وقاية لانفسهم وأموالهم بعدما يئسوا من وصول جيش السلطان للمحافظة على الامن وتثبيت سلطته** » (11) .

---

7) المرجع السابق ص 341 .
8) مولاي عبد الرحمان بن زيدان مرجع سبق ذكره ص 411 .
9) عبد الوهاب بن منصور مرجع سابق ص 309 .
10) المرجع السابق ص 308 .
11) المرجع السابق ص 334 .

6.1 كان يقوم بالدعاية لفتنته في الخارج وبالاخص في أوربا ، عبر الصحافة الدولية باستقبال بعثات صحفية أوربية ، يبثها سمومه ، حتى يؤثـر على الرأي العام السياسـي ويكسـب العطف والمساندة لحركتـه الممسوخة (12) .

2 ـ ضعف معنوية الجيش المخزني رغم كبر عدده وضخامة عتاده :
كانت الحلات السلطانية المحاربة والمطاردة للثائر بوحمارة تقدر بشهادة عدد من المصادر بعشرات الآف من الجنود النظامية ، في حين كان جند الثائر لا يتعدون في حالة التعبئة القصوى 680 فارسا و 2680 راجلا ، ولا شك أن المرء تعتريه الدهشة حين يعلم بهذه الحقائق ، فلا يلبث ان يبحث عن تفسيرات موضوعية لها قبل ان يتلبسه دجل الفتان بوحمارة .

والتفسير الوحيد الذي اسوقه يتصل بضعف في نفس الجنود والقائمين على أمرهم ، وتتمثل مظاهره فيما يأتي :

1.2 كانت قيادة الجيش موكولة الى شخصيات ليست لها خبرة بفنون الحرب والقتال ، كالامير مولاي عبد الرحمان ـ المعروف بمولاي الكبير ـ فهم « **لم يخض قط معركة ولم يكن له أدنى المام بالحرب** » (13) والقائد مولاي عبد السـلام المراني « **الذي لـم يكن مسعار حـرب ولا فارس طعـن وضرب** » (14) والشريف محمد المراني « **وهو كأخيه يصلح للتوسط والتفاوض ولا يصلح لقيادة الجيوش والتخطيط للانتصار في الحروب** » (15) .

2.2 كان التباغض محتد ما بين قواد الجيش السلطاني ، ولم يكـن بينهم أدنى تعاون أو تنسيق الا فيما ندر من الحالات ، وخير مثال على

12) الدكتور اسماعيلي مولاي عبد الحميد العلوي مرجع سابق ص 218 .
13) عبد الوهاب بن منصور مرجع سابق ص 311 .
14) المرجع السابق ص 313 .
15) المرجع السابق

ذلك ما مر ذكره بصدد الشرفاء مولاي الكبير ومولاي عبد السلام الوزاني ومولاي عبد السلام الامراني .

3.2 كان القواد والجنود يستعدون عليهم القبائل ، فوزير الحرب المنبهي في حملته على بوحمارة انشغل عن مطاردته بتغريم قبائل جبالة مما حمل دار المخزن على مكاتبته وتنبيهه الى أنه في مهمة وليس في نزهة لان طول الحرب ارهق ميزانية الدولة (16) ، وفعل جيشه بأهل تازة افاعيل « **تخجل منها المروءة ولا ترضاها الانسانية ، فقد افتضت الابكار وهدمت الديار** » (17).

4.2 كان بعض القواد وموظفي المخزن يتخدون من حرب بوحمارة مطية لتحقيق مآرب مادية خسيسة ، فهذا وزير الحرب المنبهي عند انتدابه من قبل السلطان مولاي عبد العزيز لقيادة حملة عسكرية ضد الثائر ، قرر استعراض الجنود المجندة على مرآى من السلطان وبحضور امناء المالية الذين جاءوا لاحصاء الجند وتقدير النفقات فأمر الوزير المنبهي أعوانه المقربين اليه بفتح ثقب في سور قصبة الشراردة القريب من مكان العرض حتى يمر منه الجنود ليعاودوا عرض أنفسهم مرات ومرات أمام السلطان وأمناء مخزنه فيتضاعف عددهم وتتضاعف بالتالي النفقات ، ليستولي هو على المبالغ الاضافية الطائلة (18) .

وهذا وزير الحرب المدني الكلاوي في العهد الحفيظي يتمنى استمرار فتنة بوحمارة حتى يتمكن الوهن من الدولة ، فينال ما يرومه من المآرب ، فقد قال لمعتقل بوحمارة القائد الناجم : « **ياناجم تعديت ،،، انك لم تفعل حسنا ، فهذا الرجل الذي نحن حوله ـ يعني السلطان مولاي عبد الحفيظ ـ غدار ، وكان بودنا أن لا نزال نراوغه بمحاربة هذا الانسان (أي بوحمارة) الذي اتيت به اليوم ، فقضيت علينا بما كنا نتخده جنة نتستر وراءها** » (19).

كما ان كثيرا من المسؤولين المكلفين بتموين المحلات السلطانية اختلسوا الجزء الاعظم من أموال القروض التي اقترضها السلطان مولاي عبد العزيز من

---

16) محمد المختار السوسي المعسول مرجع سابق ص 41 و 42 .
17) مولاي عبد الرحمان بن زيدان مرجع سابق ص 405 .
18) عبد الوهاب بن منصور مرجع سابق ص 319 .

أوربا (20) ، « **ولا يستثنى في ذلك أمين الامناء بالعاصمة ولا امناء المحال وضباط الوحدات** » (21) فبنوا لانفسهم الدور والقصور وأصبحوا من أثرياء المغرب ووجهائه (22) « **كآل التازي والجايي والمنبهي** » (23) .

5.2 ان الامدادات لم تكن تصل الى الجيش المحارب بالقدر الكافي وفي الوقت المناسب ، اما بسبب تقاعس وجبن المكلفين بايصالها ، فقد بعثت الحكومة بمحلة لنجدة الجيش المنهزم قرب تازة ، ولكن قائدها محمد بن بوشتا بن البغدادي أمرها بالتريث في المسير بل وبالتوقف عنه لما علم بنوة الثائر وبذلك **انهزمت محلته بالسماع** (24) . أو بسبب قطع الطرق من طرف الثوار ، فالرواتب والميرة والسلاح كانت تصل الجنود متأخرة أو لا تصلهم بالمرة « **فمحلة تازة كان يسرب اليها بالف مشقة والف حيلة عبر قبائل ثائرة وأ مشكوك في اخلاصها ،،، أو يوقعه أحيانا بين أيدي انصار الدعي فتبقى المحلات والوحدات العسكرية عرضة لتضياع** » (25) .

6.2 كان الجيش المخزني يحارب الثائر وهو يعاني من ثالوث مثبط لكل عزيمة يتجسد في الجوع والعري والمرض ، فكثيرا ما كان الجوع يفتك بالجنود « **فيقلعون الدوم ويأكلون جذوره ، ويقتاتون بالحلزون وشبهه من خشاش الارض** » (26) ، أو يهاجمون الحقول التي تقع في طريقهم ، فمرة هاجم الجنود حقولا للذرة « **فصاروا يشوون ويأكلون** » (27) ، ومرة هاجموا حقلا للقمح فاقتلعوا سنابله وراحوا يشوونها حتى يقتاتوا بها (28) .

---

19) محمد المختار السوسي المعسول مرجع سابق ص 74 .
20) مولاي عبد الرحمان بن زيدان مرجع سابق ص 410 .
21) عبد الوهاب بن منصور مرجع سابق ص 347 .
22) عبد الله الجراري شذرات تاريخية 1900 ـ 1950 الطبعة الاولى الدار البيضاء 1976 ص 11
23) عبد الوهاب بن منصور ص 347 .
24) محمد المختار السوسي المعسول مرجع سابق ص 40 .
25) عبد الوهاب بن منصور مرجع سابق ص 346 .
26) المرجع السابق ص 345
27) محمد المختار السوسي المعسول مرجع سابق ص 41 .
28) المرجع السابق ص 49 .

وقد اضطرت هذه الحالة المزرية بعض الجنود الى سرقة السلاح « **ليبيعوه للقبائل ليتوصلوا منهم بما يقتاتون به ، لان الضيق والفاقة قد بلغا بهم الغاية** » (29) ، كما أن بعض القواد كانوا يستغلون حاجة الجنود الى المال ، ليبتاعوا منهم سلاحهم وذخيرتهم ليؤسسوا ترسانات خاصة بهم في قبائلهم ، فقد اشترى القائدان المدني الكلاوي وأخوه سلاحا كثيرا من الجياع المفلسين (30) وبذلك ساهما في تعطيل قسم من الجيش والسلاح عن القيام بواجبه ناهيك ان عملهما هذا يعتبر خيانة تستحق أشد العقوبة .

ودفع الجوع والعري أيضا بالكثير من الجنود الى الفرار الى سلطات الاحتلال في مليلية والجزائر « **متسولين طالبين ما يسدون به الرمق** » (31) ، أو ليعملوا باراضي الاستعمار كعمال مزارعين .

وتأثر القواد بدورهم بهذه النكبة فأصبح الموسرون منهم « **يرشون وزراء الحكومة ليتوسطوا لهم في الرجوع الى قبائلهم كما فعل القائد المدني ، الذي بذل مائة ألف ريال للحاج عمر التازي ليحرر له على اذن بالرجوع** » (32) وتمارض اخرون حتى يعفوا من الخدمة ويسمح لهم بالعودة الى ديارهم .

وتدخلت اسبانيا عبر مستعمرتها مليلية لتمون الجيش السلطاني بعد أن بلغ الجوع والعري والمرض باغراده مبلغا خطيرا ، لتوهمهم أن السلطان **قد غدر بهم وبذلك كانت تدس السم في الدسم لتزيد في اوار الفتنة والتفرقة** وتنال مآربها في اطمئنان وهدوء .

7.2 كان الاستعمار الفرنسي يمارس من حين لآخر مضايقات على تحركات الجيش السلطاني ، رغم أنه استجاب لطلب السلطان باسداء العون له تطبيقا لنصوص اتفاقية الجزائر المبرمة في 1902 ، وساعد القواد على

---

29) المرجع السابق ص 48 .
30) المرجع السابق ص 48 .
31) عبد الوهاب بن منصور مرجع سابق ص 350 .
32) المرجع السابق ص 351 .

تجييش جنود من قبائل الحدود لمحاربة الثائر ، وارفقها بفرقة من المدفعية تتكون من ثلاث ضباط هم مارتان Martin ولاراس Larras وموجان Mungin وأربعة مساعدين جزائريين اشتهـر منهم عبد الرحمان بن سديـرة (34) وأنه من السنداجة بمكان اعتبار هذه المساعدة مؤازرة خالصة لاحقاق الحق وتثبيت الشرعية ولتنفيذ التزام وتعهد ، وانما هي حلقة في اطار خطة تهدف تهدف في النهاية الاجهاز على المغرب ، وقد أعطت ثمرتها باحتلال وجدة سنة 1907 .

غلا غزو ان كان المستعمر في الجزائر يضيق الخناق على الجيش المغربي بالشرق المغربي متى رأى ان خطته تسير في غير الطريق المرسوم لها ، بسبب تصرف بادر من المخزن لتعطيل تغلغله .

ففي سنة 1904 قرر السلطان الاستغناء عن خدمات الضباط الاجانب المدربين لجيشه بذريعة عجزه عن أداء رواتبهم بسبب فراغ خزينته ، ولما كان القرار يشمل أيضا الضباط الفرنسيين ، فان فرنسا اعتبرت ذلك تحديا لها واحباطا لكل أعمالها الاستعمارية ، وكان من جملة الاجراءات الثأرية التي اتخذتها لتأديب السلطان هو السعي الى تضييق الخناق على جيشه بناحية وجدة « **فاغلقت الحدود الجزائرية في وجه ولاة السلطان ،،، ووضعت حدا للتسهيلات التي كانت تقدمها من ميناءي الغزوات وعجرود ، بينما فتحت تلك الحدود في وجه انصار الدعى الفتان ابي حمارة واباحت لهم ان يقتنتوا مشترياتهم من الاسواق الجزائرية ، وسمحت للتجار الفرنسيين بوهران أن يفدوا عليه واقرضوه المال وقدموا له السلاح** » (35) .

وفي 4 غشت 1906 أمر حاكم الجزائر باغلاق الحدود في وجه جنود المخزن ومنع كل تعامل تجاري معهم ، ومصادرة كل ما يصلهم عبر موانيء اقليم وهران بدعوى تعويض بدو وتجار الجزائر عن الخسائر التي اصابتهم

---

33) محمد المختار السوسي المعسول ص 51 .
34) الدكتور اسماعيلي مولاي عبد الحميد العلوي مرجع سابق ص 212
35) عبد الوهاب بن منصور مرجع سابق ص 366 و 367 .

من جراء عمليات النهب التي كان يقوم بها الجنود ، وبهذه المضايقة كان المستعمر يضع اللبنة الاخيرة لغزو وجدة واحتلالها بدعوى نشر الامن والنظام وليقتل كل اتصال بين وحدات الجيش السلطاني الضائع في المنطقة .

وقد ساهمت كل هذه المثبطات في خلق مناخ كان له أثره البليغ على معنوية الجيش السلطاني الذي لم يمنعه كثرة عدده من ان يلعق جراح الهزيمة والخذلان والضياع . في وقت كان المخزن منصرفا عنه في معالجة أدواء أخرى تنهش جسم المغرب وتسير به نحو النهاية المحتومة .

ورغم النجاح الظاهري لحركة الجيلاني بوحمارة ، فانها كانت محكومة بالفشل والموت ، فاذا ظفرت في الواجهة العسكرية التي تعكس باعتلالها واقع المخزن والمغرب ككل ، فانها خابت في واجهات أخرى ، وكان تلاشيها محتوما ، حتى وان لم تتدخل قوة السلطان العسكرية ، وحتى ان عمرت زمنا طويلا ، ولعل من أهم أسباب افول نجم الدعي الفتان سببان رئيسيان هما :

1 ـ **قوة الحرب الدينية والنفسية التي شنها ضده السلطان** : وهي تستهدف فضح دجله وتعرية ادعاءاته ، وحمل القبائل على نفض طاعته والجد في ملاحقته للقبض عليه أو اقباره .

1.1 فقد وجه السلطان مولاي عبد العزيز رسائل الى قبائل بعينها في الريف ، يدعوها الى رد فتنته والمساعدة على استئصال شافته ، ومن هذه الرسائل نورد رسالة ملكية الى قبيلة بني مسارة بالريف الغربي ، ومنها نقتطف : « ... **فقد علمتم ما تظاهر به الفتان الذي استعان بغباوة على ما سوله الشيطان ، وصار يسعى في تسويد صحائف رعيتنا السعيدة ، ويتسبب في حل نظام القبائل بأوهام غير مفيدة ، واثر بذلك مخالفة السنة والجماعة ، والخروج عن الايمان والطاعة ، قال عليه الصلاة والسلام : « من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه ، ومن خرج عن طاعة الامام ثم مات فقد مات ميتة جاهلة » ، البسبب تلبيساته وتدليسه**

استهوى ذوي العقول الحقاف وصار يورطهم في مواقع العقوق والخلاف ويغريهم على الانحلال والانحراف ،،، فاقتضى نظرنا الشريف ان نكتب لسائر الصالحين والقبائل في شأن تحصيل الفاسد المذكور ليتحقق لنا من يبادر الى هذه المزية بعمل مشكور وعليه فنأمركم أن تجعلوا أمره من الامر المهم الاكيد ، وتنصبوا له الارصاد بجهاتكم وعدم افلاته ، وتعملوا جهدكم ان يجعل الله مزية التمكين منه على أيديكم وتستوجبوا بها من الجزاء والثواب ما ينجيكم نحول الله ويرضيكم » (37)

2.1 طبع السلطان مناشير ووزعها في كل ربوع مملكته وخاصة منها التي كانت تحت سطوة الثائر ، يصف فيها مروقه وغيه وما أصاب الامة من فساد بسببه ويعد بمنح جوائز مالية للقابض عليه أو لقاتله « **وهذه أول مرة تأخذ فيها حكومة في المغرب بهذا الاسلوب العصري في التبليغ ،، اشار به ولا شك بعض المستشارين الاوربين أو المغاربة المتنورين** » (38) ، ومن هذه المناشير نقتطف : « ،،، **قد تحقق عند الخاص والعام ان هذا الرجل الفتان الجيلاني الزرهوني الذي يسمي نفسه بمولاي محمد ، فتن المسلمين والمسلمات ونسبب في اهلاك كثير من المومنين وشق العصا ، وقد قال الله تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض ، وقال صلى الله عليه وسلم الفتنة نائمة ، فمن ايقظها فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، وفي الحديث من خرج يدعو الى نفسه أو الى غيره ، وعلى الناس امام فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين فاقتلوه ، وفي الحديث من انتسب الى غير أبيه فالجنة غير حرام .**

والذي تواتر بالاستفاضة هو صدور أمر مولانا العالي بالله بأن هذا المارق اذا تمادى على حربه حتى يقبض حربا فيصلب طبق ما اقتضاه الحكم

---

36) محمد بن سعيد الصديقي ايقاظ السريرة لتاريخ الصويرة ص 193 .

37) عبد السلام البكاري الاشارة والبشارة في تاريخ اعلام بني مسارة البيضاء 1984 ص 51 و 52 .

38) عبد الوهاب بن منصور مرجع سابق ص 317 .

الشرعي ، ومن ظفر به من القبائل واتوابه مقبوضا حيا ، ينعم عليهم مولانا أمير المؤمنين بخمسين ألف ريال ، ومن اتى برأسه مقطوعا فله عشرون ألف ريال ، وهذا الصادر لما كان متحققا تعين اعلام قبائل الاسلام ، وجميع أهل الملة المحمدية ، ليتبادر من جعل اللـه المزية على أيديهم للتقدم والسبقية لهذا العمل الحميد ،،، » (39) .

3.1 استفتى السلطان العلماء في الجيلاني بوحمارة ، فأصدروا نصائح للرعية تحذر من السقوط في شراك أباطيله ، ومنها نصيحة وتذكرة من علماء فاس وجهت الى كافة الامة ومنها نقتطف الفقرات التالية : « ،،، **أما بعد ، فهذه تذكرة نافعة ونصيحة جامعة ، صادرة من الواضعين أسمائهم اخرها علماء فاس ،،، امتثلوا بها قول الله تعالى في كتابه المبين ، « وذكر فان الذكرى تنفع المومنين » ، واعملوا فيها بمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم : « الدين النصيحة ، قلنا لمن يا رسول الله ، قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم » ، وراه مسلم في صحيحه ،،، وحملهم عليها أيضا الاهتمام بأمور المسلمين لقوله صلى الله عليه وسلم من لا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم ، وقد ذكر العلماء ان من النصيحة لعامة المسلمين تعليم جاهلهم وتنبيه غافلهم ووعظهم في سرهم ونجواهم وارشادهم الى ما يصلح دنياهم وأخراهم ،،، ولا يخفي أن العلماء خلفاء الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد انعقد الاجماع على أنه لا يحل لامريء أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه ، اذا تمهد هذا فنقول ان طاعة الامام الذي بيعته في اعناق الانام قربة وعبادة والاعتصام بحبلها سعادة وهي واجبة بالكتاب والسنة . أما الكتاب فقوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الامر منكم » ، فقرن سبحانه طاعتهم بطاعته وطاعة رسوله . وأما السنة فقوله صلى الله عليه وسلم « من اطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري فقد**

---

39) عبد العزيز التمسماني خلوق وثائق عن الفتان الدعى بوحمارة عن مجلة دار النيابة العدد الرابع 1984 ص 38 .
ثم عبد الوهاب بن منصور مرجع سابق ص 316 .

عصاني » ، رواه البخاري ومسلم ،،، الى غير ذلك من الاحاديث ، فمن أطاع السلطان فقد أطاع الرحمان والرسول سيد الاكوان ، ومن خرج عن طاعة السلطان فقد أطاع الشيطان ودخل في خرب أهل الضلال والخسران ،،،

وأما ما صدر في هذا الزمان ، من الثائر الفتان ، من الخروج عن الطاعة وفراق الجماعة ، ومحاربة جيش السلطان ، والتلبيس على الناس بالسفسطة والبهتان فهو من الذنوب الكبائر ، المذمومة عند الاوائل والاواخر ، وقد ورد في ذلك وعيد وزجر شديد ،،، وفي الصحيحين ،،، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر فانه ليس أحد يفارق الجماعة شبرا الا مات ميتة جاهلية » ،،، وفيه ،،، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا رأيتم من ولاتكم شيئا تكرهونه فأكرهوا عمله ولا تنزعوا يدا من طاعة » ،،، وقال صلى الله عليه وسلم « من أهان سلطان الله في أرضه أهانه الله في الارض » أخرجه الترمذي ، قال بعض العلماء المراد أن الله نصب السلطان فاذا أكرمه الانسان ، فقد أكرم من نصبه فيكرمه الله وبالعكس ،،،

وقد نص الفقهاء على أن حكم القائم على الخليفة حكم المحارب ، واخرج مسلم في صحيحه عن عرفجة رضى الله عنه قال « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أتاكم وأمركم جميع على واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه » ، فكيف يليق بالمسلم العاقل أن يتبع هذا الفتان الجاهل في الخروج عن طاعة أمير المومنين والدخول في طاعة أخوان الشياطين والوقوع في المحذور والتورط في عظائم الامور ، فمنها سفك دماء المسلمين وقد قال تعالى « ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما » ،،، واخرج الترمذي ،،، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لو ان أهل السماء وأهل الارض اشتركوا في دم مومن لكبهم الله عز وجل في النار » ،،،

ومنها ترويع المسلمين وقد أخرج الامام مسلم في صحيحه ،،، قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم « من أشار الى أخيه بحديدة ، فان الملائكة

تلعنه حتى ينتهي ، وان كان أخاه لابيه وأمه » ، واخرج البزار وغيره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تروعوا المسلم فان روعة المسلم ظلم عظيم واخرج أبو داوود وغيره بسند صحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يحل لمسلم أو مؤمن أن يروع مسلما » .

ومنها انتهاك الاعراض وقد اخرج البخاري في صحيحه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو بمنى يوم النحر « ان دماءكم وأموالكم واعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا الا فليبلغ الشاهد الغائب ،،،

ومنها اضاعة المال ونهبه وأكله وقد قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » ، وقال عليه الصلاة والسلام « لا يكتسب عبد مالا حراما فيبارك له فيه ، ولا يتصدق به فيقبل منه ، ولا يتركه خلف ظهره الا كان زاده الى النار ،،، وكيف يرضى ذو همة أن يتبع ذلك الفتان مع ما اشتهر عنه من الكذب والبهتان ، فمن ذلك كذبه في نسبه حيث زعم وادعى أنه الشريف مولاي محمد بالفتح بن مولانا المقدس أمير المؤمنين مولانا الحسن ،،، وقد جاء النهي عن الكذب في النسب ، ففي الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « من ادعى الى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه ، فالجنة عليه حرام » ،،، وفي الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من ادعى الى غير أبيه ، وانتمى الى غير مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا ،،،

ومن ذلك كذبه فيما يختلفه ويفتعله من الرسائل والاجوبة مع أن من نيسبها اليهم برءا منها ومن أقواله وأفعاله وقبائحه وأحواله ،،، ولاجل اختلافه وافتعاله وضعنا خطوطنا عقب هذه الاوراق ليعلم ويتحقق من يقف عليها أنه كاذب فيما عسى أن ينسبه الينا ، ومن ذلك رميه جند السلطان وعساكره بالكفر اعاذهم الله منه فانهم مسلمون وابناء مسلمين ، من أهل القبلة المحمدية ، وقد عد بعض العلماء رمى المسلم بالكفر من الكبائر ،،،

فقد انضح الحق وبان ، وتبين الرشد من الغي بالدليل والبرهان ، فعلى الواقف على هذه الموعظة الحسنة التذكرة المستحسنة من تلامذتنا وغيرهم من طلبة الجبال وغيرها ان يقرروها لاقوامهم وينتزلوا معهم حتى تصل الى افهامهم ليحيطوا بها علما ويعملوا بمقتضاها ولا يعيروها اذانا صما وليتوبوا ويرجعوا وينيبوا ويقلعوا ويتأملوا بعقولهم ويتدبروا ولا يضلوا ولا يغتروا ومن أراد منهم التقرب الى السلطان فليسق اليه ذلك الفتان ، وليعلموا أن أمير المؤمنين مولانا عبد العزيز أيده الله ، أمام حليم ، وشريف حيي كريم ، وَلا يقابل التائبين الا بالعفو والصفح والرفق واللين ،،، » (40)

4.1 اطلق السلطان مولاي عبد العزيز سراح أخيه الامير مولاي امحمد الذي ظل أسير قصر مكناس منذ تنصيب السلطان المذكور على المغرب من قبل الوزير أحمد بن موسى ، واستقدمه الى فاس « **وادخل اليها في يوم مشهود ، وصالحه الوزراء والشرفاء مع أخيه السلطان** » (41) ودعاه الى عرض نفسه على الناس بمخالطتهم في الشوارع والساحات العمومية وبالمزارات كمولاى ادريس وسيدي أحمد التيجاني حتى يتبين للناس صدق ما يقوله وينشره السلطان وزيف ادعاءات بوحمارة ، وجاء في موعظة علماء فاس السابقة اشارة الى ذلك في احدى فقراتها وتقول : « ،،، **ان مولاي محمد ،،، ها هو الان بفاس ، كان قدم من مكناسة الزيتون وزار مولانا ادريس وسيدي أحمد التيجاني رضي الله عنهما ، ولا زال هنا يراه الجم الغفير من أهل فاس وغيرهم بين علماء وشرفاء وحملة القرآن ، وأهل الخير والعامة من الرجال والنساء والصبيان والاحرار والمماليك رؤية عيان ، لاشك فيها ولا ريب وليس لانكارها سبيل ، اذ النهار لا يحتاج الى دليل ، وليس الخبر كالعيان وما بعد رؤية البصر عيان ،،،** » (42) ، وليس من المستبعد أن يكون قصد

---

40) عبد العزيز التمسماني خلوق مرجع سابق ص 40 .

41) عبد الوهاب بن منصور مرجع سابق ص 315 .

42) عبد العزيز التمسماني خلوق ص 40 ثم الدكتور اسماعيلي مولاي عبد الحميد العلوي مرجع سابق ص 214 و 215 .

فاس مندوبون وزوار من القبائل المدن لمعاينة الامير الحقيقي ، أما بدافع من السلطات أو بمحض الاختيار والفضول ، وقد « **كان لهذا التدبير أثر كبير في تهدئة الافكار ورجــوع بعض القبائل عن غيها بعدما دخلت في دعــوة الدعــي** » (43)

2 ـ **تعامله المفضوح مع الاستعمار المتحفز ببلاده المغرب** : اثبت الثائر الجيلاني بما يدعو الى الشك أنه صنيعة استعمارية ، وأداة طيعة في يده تمهد لتسربه وتغلغله ، وليس بأمير نذر نفسه وجنده للجهاد وحماية البلاد من المعتدين الطامعين .

2.1 فالثائر كان يمول ويسلح حركته بمال وسلاح فرنسا الاستعمارية وهناك قرائن وشهادات تؤكد ذلك ، **منها** رسائل حكومية في الموضوع كالرسالة التي بعث بها وزير خارجية المغرب ابن سليمان الى النائب للحاج أحمد الطريس بطنجة سنة 1906 والتي تخبر بان بوحمارة حصل من فرنسا على عتاد عسكــري يتكون من مدفعيــن « **وعدد من السكور والقرطــوس (الرصاص)** » (44) .

ومنها ما ذكره الباشا منو الذي كان انيسا للثائر في معتقله من ان هذا الاخير كان له « **اتصال كبير بفرنسا ، تؤيده بالسلاح وبالقوة الادبية**» (45) وما صرح به وزير خارجية اسبانيا مورا **Maura** المعاصر لنتنته بقوله : « **ان من المعروف بالتأكيد أن الروكي كان في الجزائر قبل الثورة وان البنادق التي كان يستعملها اتباعه كانت فرنسية الصنع ، وان الذهب والنقود الفرنسية كانت منتشرة بين اتباعه** » (46) ، كما ان ليوطي لم يكن يتحرج عن التحدث بصراحة تامة في رسائله عن الفوائد الممكن تحقيقها من ثورة بوحمارة (47) .

---

43) عبد الوهاب بن منصور مرجع سابق ص 315 .
44) يوجد نص الرسالة مصورا بالمرجع السابق ص 368 .
45) محمد للمختار السوسي على مائدة للغذاء مرجع سابق ص 62 .
46) محمد خير فارس مرجع سابق ص 127 .
47) روم لاندو المغرب في القرن العشرين مرجع سابق ص 66 ثم محمد خير فارس مرجع سابق ص 128 .

2.2 كانت للثائر بوحمارة مع الاستعمار الاسباني في مليلية علاقات وثيقة ، فقد كان هذا الاخير يؤيده ويساعده ويسمح له باستيراد ما يشاء عبر مليلية من أسلحة وأدوية وسلع « **وكانت البواخر من جبل طارق ، وشركة ألمانية من هنبورغ (هامبورغ) ومن الولايات المتحدة الامريكية تفرغ له صناديق من الاسلحة والبارود والملابس على مسمع ومرآى من الحامية الاسبانية** » (48) .

3.2 تستشف علاقته الوطيدة بالاستعمارين الفرنسي والاسباني من خلال خطاب بعث به الثائر بوحمارة الى السلطات الاستعمارية في الجزائر يدعوها الى كف يدها عن مساعدة البعثة السلطانية برئاسة أحمد الركينة السابق الاشارة اليها ومام جاء في هذه الرسالة البوحمارية « **الى أعقل رؤساء الدولة الافرانصيصية المتعين بمدينة وهران ،،، أما بعد لم تزل دولتكم هذه مع دولتنا المغربية في أحسن حالة وعذوبة المحاورة ومتن السياسه والمخالطة حتى ثار من لعبت به نفسه الامارة في أواننا هذه الساعة الذي أراد خراب ديننا والتشيطن في دولتكم من جوارنا عبد العزيز واتباعه الحال ببلدتكم الان تواجه قصدا للتشيطن فيما بيننا وبينكم وارادتهم حسم المصارفة معكم .**

فالشيطان لما ضعفت قوته وخسرت بضاعته بدت منه وسوسة ،،، ولما تحقق منهم ذلك حاكم مليلية طردهم عنه ،،، وأجابهم في قوله ان كانت لكم طاقة بمن قام لنصرة دينه ، فابرزوا في بركم لمحاربته واخرجوا اميركم كخروج الاخر لمبارزته واتركوا التعلق بمن سواكم والا سلموا الامر لمن دهمكم واشتغلوا بأنفسكم ،،، » (49)

ومن استقراء هذه الفترة من رسالة الثائر نستنتج الخلاصة التالية :

1.3.2 ان الثائر الجيلاني بوحمارة هو السلطة الشرعية وما عداه فهو تشيطن ووسوسة .

---

48) الدكتور اسماعيلي مولاي عبد الحميد العلوي مرجع سابق ص 128 و 220 .
49) المرجع السابق ص 213 .

2.3.2 ان الثائر أقوى من السلطان مولاى عبد العزيز ومخزنه في نفوذه وسطوته ،

3.3.2 ان الثائر أنفع للاستعمار الفرنسي ، ويوهمه بأن نظيره الاسباني قد أدرك هذه الحقيقة وامتنع عن مساعدة البعثة السلطانية .

4.3.2 ان العلاقات بين دولة الثائر السلطات الاستعمارية طيبة ومثمرة ويجب ان تبقى كذلك أبد الدهر .

4.2 ان الجيلاني بوحمارة منح للفرنسيين والاسبان امتيازات اقتصادية ـ تقدم ذكرها ـ لاستغلال بعض مناجم الريف ، ولاغراق السوق الريفية والمغرب الشرقي بالسلع الاوربية واعطاء مواطيء قدم للاستعمار الفرنسي والاسباني بالمنطقة ، وكان الثائر ينوي توسيع دائرة هذه الامتيازات لتشمل بغطاءها جهات أخرى لولا مقاومة بعض القبائل .

5.2 سكت الثائر عن احتلال الفرنسيين لجهات من الصحراء في فيكيك سنة 1903 وعن احتلال مدينة وجدة سنة 1907 ، وعن احتلال الاسبان لشريط ساحلي طوله عشرين كيلومتر قريبا من مستعمرهم مليلية ، وهو الذي يدعي حمل راية الجهاد والتحرير ورغم ان هذه الجهات المغتصبة تقع في حدود دولته بزعمه .

وقد تمخض عن حملة السلطان الدينية ، انفضاح عمالته للاستعمارين الفرنسي والاسباني الاكثر تحرشا باستقلال المغرب ، ان أخذ نجمه بالافول وهو في عز صولته بانفضاض مناصريه ومشايعيه من حوله وتتمثل مظاهر تقهقر أمر فتنته في :

1 ـ **مذبحة دار البوزكاوي في غشت سنة 1904** : نزل الثائر في طريقه لاسترداد مدينة وجدة بديار قبيلة بني بوزكو الزناتية ، فبعث اليه

زعيمها حمادة بن المختار بالطاعة والولاء ، فطلب الثائر مصاهرته على ابنته **حتى « يربط معه أواصر القرابة والتعاون السياسي والحربي في آن واحد ،،، »** (50) ، فأجابه حمادة لذلك ، واقترح عليه أن يوجه اليه نخبة وزراءه وقواده لخطبة العروس ومصاحبتها حين زفها اليه ، فلبى الثائر بوحمارة طلبه وبعث له بنحو ثمانين فردا يوجد بينهم صدره الاعظم صالح التلمساني ، مرفقين بنسوة وعشرة بغال محملة بالمهر والهدايا ، ولما دخلوا دار الزعيم حمادة « **هش وبش وبالغ في الاكرام وبسط الموائد والاطعمه فأكلوا وشربوا ثم انبسطوا ثم عرض عليهم دخول الحمام** » (51) لتغيير كسوتهم اخرجها لهم (52) ، « **فتجردوا من سلاحهم ودخلوا الحمامات زرافات فاستحال حماما** » . (53) اذ انقض عليهم رجال قبيلة بني بوزكو ، الذبحوهم جميعا باستثناء اثنين فرا ، هما الحاج المزوجي والقائد مزيان الزهراوي (54) ، ليلتحق حمادة البوزكاوي وذويه ورجاله بالجيش السلطاني بمدينة وجدة .

وقد نوه السلطان مولاي عبد العزيز بعمل القايد حمادة وهنأه على شجاعته وانعم « عليه وعلى ولده محمد بفرسين بسناحهما ومكحلتين وكسوتين ، **وخمسين كسوة لاعيان قبيلته** » (55) ، **وبعث له على التوبظهير اكبار وتكريم جاء فيه « ،،، اننا بحول الله وقوته وشامل يمنه ومنته اسبلنا على ما سكه خديمنا الانصح الانجد الافلح القائد حمادة البوزكاوي اردية الحظوة والافتخار ، واثبتنا له على صفحات الزمان رسوم العز والعناية والاعتبار ، والحقناه بملاحق الرضا والتقريب والايثار وزدناه على مكانته المحفوظة مكانة ،،، »** (56) .

2 ـ **ابتعاد بعض المحاربين الضارين عن صفه** : فقد فارقه الطيب البوشيخي وابيه أبو عمامة وفارقه عبد الملك حفيد المجاهد عبد القادر

50) المرجع السابق ص 216 .
51) مولاي عبد الرحمان بن زيدان مرجع سابق ص 409 و 410 .
52) محمد المختار السوسي المعسول مرجع سابق ص 47 .
53) مولاي عبد الرحمان بن زيدان مرجع سابق ص 410 .
54) الدكتور اسماعيلي مولاي عبد الحميد العلوي مرجع سابق ص 216 .
55) المرجع السابق ص 217 .
56) المرجع السابق نفس الصفحة .

الجزائري ليلتحقا بجيش السلطان « **وكان منهم في خدمة السلطان ومحاربة طائفة الفتان ما سارت به الركبان** » (57) ، كما فارقه عبد القادر العتيقي المعروف بابي حصيرة وهو محـــارب شديد البأس « **عظيـم الذكاء قـوي الدهاء** » (58) ، والتحق بالجزائر ليقيم في كنف الاستعمار الفرنسي .

3 ـ **رفض كثير من القبائل لطاعته في الريف والمغرب الشرقي** : ففي الشرق رفضت قبائل انجاد وبني يزناسن الخضوع لبهتانه ، وفي الريف الغربي قررت قبائل أنجرة وبني منصور وبني ايدر وغيرها بعد اجتماع في ضريح الولي عبد السلام بن مشيش عدم الاعتراف بالطاعة والولاء وكان ذلك في مارس 1903 (59) .

وبمقارنة تواريخ صدور مناشير السلطان مولاى عبد العزيز ورسائله وتذكرة علماءه مع تاريخ انعقاد اجتماع القبائل المذكورة استوعبت فحوى دعوة السلطان واستجابت له بعد تشاور وتذاكر .

4 ـ **خروج بعض القبائل عن طاعته** فقبيلة قلعية أعلنت خروجها عن طاعته بسبب انفضاح تعامله مع الاستعمار ، وهاجمت الاسبان العاملين بمناجم منطقة نفوذه ، وشلت بها العمل ، وحاربت قبائل بني ورياغل الثائر رغم ضعف تسلحها ، وردته على اعقابه لما تأكدت من تواطئه مع الاستعمار ، ومن نواياه بمنح مناجم جبل حمام الغني بالنحاس والرصاص ، والواقع في ديارها الى الامتيازات الاجنبية ، وهكذا وجد الثائر نفسه بعد نجاح باهر يهوى بسرعة كبيرة نتيجـة انكشاف حقيقة أمـره ، ليطبق عليه الجيش السلطاني في غير عناء ، وهو الذي عانى الامرين في حربه وملاحقته .

وان المتتبع لاطوار فتنة الجيلاني بوحمارة ، يدرك بأن ثورته لم تكن ككل الثورات التي كانت تعصف بجهات من ربوع المغرب قديما وحديثا ،

---

57) مولاي عبد الرحمان بن زيدان مرجع سابق ص 410 .
58) عبد الوهاب بن منصور مرجع سابق ص 406 .
59) جرمان عياش مرجع سبق ذكره ص 131 وهامشها .

فصاحبها بوحمارة لم يعتمد في اذكاءها على عصبية قبلية ولا على دعوة مذهبية ، ولم يكن يملك من السلاح والنفوذ والحظوة أي شيء يذكر ، فهو بدأ حركته وحيدا ليس له سوى اتانا ، واستطاع وفي ظرف وجيز بما يملكه من ذكاء ودهاء ورغبة متقدة في تسنم السلطنة « **ان يؤلب حوله الرجال ويستألف الابطال ، ويثير القبائل ، ويتحدى بهم دولة بجميع أجهزتها ووسائلها** » (60) ليشيد دولة مترهلة ممسوخة عمرت سبع سنوات .

ويدين الجيلاني في نجاح ثورته واستمرارها هذه المدة غير القصيرة ، الى اتقانه استخدام أمضى الاسلحة في تطويع القبائل واستدراج الرجال وهو **الدعوة الى الجهاد** في ظرف تاريخي دقيق وحساس ، تكاثر فيه عدد الاجانب بالبلاد وتعددت وتشعبت امتيازاتهم الاقتصادية والقضائية ، وراحت بعض دولهم تتقضم اجراء من التراب المغربي ، والمخزن ساكت ، مشغول بالتوافه عاجز ، والشعب من حوله ينتفض غيضا وسخطا يبحث عن منقذ وهو غير آبه بالصادق في دعواه من الكاذب ،.

فانبرى بوحمارة ببلاغته اللغوية والدينية ، فتزيى بزي البهتان والدجل ونشر حول نفسه هالة من القدسية بانتحال النسب الشريف وادعاء الكرامات **والخوارق والتشدق بالجهاد والتحرير ، وفطن الاستعمار لمآربه الوضيعة** فساعده وخطط له ، وجعل منه أداة ترصف له طريق التغلغل والاحتلال « **باشاعة الفوضى ونشر الفتن في المغرب حتى تهن قواه ويسهل ابتلاعه** » **(61)**

وقد أفلح الجيلاني ولمدة سبع سنوات في الاصطياد في الماء العكر « **وصمد - كما يقول المختار السوسي - في القاتلة بحيله ودسائسه قبل خيله ورجله** » (62) ، فكانت ثورته كما يقول الاستاذ البير عياش « **أكثر الانتفاضات قوة** » (63) ، ووصفها الدكتور محمد خير فارس بأنها كانت

60) عبد الوهاب بن منصور مرجع سابق ص 392 .
61) المرجع السابق ص 307 .
62) محمد المختار السوسي المعسول مرجع سابق ص 44 .
63) البير عياش المغرب والاستعمار مرجع سبق ذكره ص 71 .

« **شوكة في جنب المغـرب** » (64) تساعد الاجنبي على التدخل في الشـؤون المغربية وتسمح **بتبريره** .

وعليه كان الجيلاني بوحمارة كما يقول الاستاذ عبد الوهاب بن منصور « **أحد كبار الثوار الذين نسفوا استقلال المغرب وعجلوا بخرابه** » (65) ، وكان حسب الاستاذ روم لاندو « **عنصرا هداما آخر ، أدى مع العوامل الاخرى جميعا الى تقويض سيادة السلطان** » (66) .

والمحصلة النهائية هي ان ثورة بوحمارة فتنة ذكية مدمرة ، استغرقت نحو عقد من الزمن ، تمخضت عن تشابك مجموعة من الادواء التي أصابت جسم المغرب من الداخل والخارج ، لتخلق أدواء جديدة استفحلت معها علة البلاد ، وساهمت جميعها في قتل استقلالها لتخضعها الى مشرجة الامبريالية الجشعـة .

---

64) محمد خير فارس مرجع سابق ص 303 .
65) عبد الوهاب بن منصور ص 303 .
66) روم لاندو مرجع سابق ص 67 .

شركة الطبع والنشر
S. I. E.
زاوية زنقتي فوزي وبوزانسي
الهاتف : 24.23.28 / 24.35.54 الدار البيضاء



المــؤلـــف فـــي ســطـــور

- ولد كريدية ابراهيم بمدينة اسفي ، وفيها تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي

- حصل سنة 1976 على اجازة في التاريخ من كلية الاداب التابعة لجامعة محمد الخامس بالرباط .

- حصل سنة 1977 على دبلوم في التربية وعلم النفس من كلية علوم التربية (المدرسة العليا سابقا) التابعة لجامعة محمد الخامس الآنفة الذكر .

- أسس سنة 1983 مجلة « الهدف » وهي دورية علمية تربوية تعنى بشؤون تدريس مادة الاجتماعيات .

- له مجموعة من الابحاث والدراسات نشرت بمجلة « التربية والتعليم » ، وبمجلة « الهدف » وبمجلة « الثقافة العربية » الليبية .

- صدر له في سنة 1985 مؤلـف تاريخي يقع في حجم صغير عنوانـه « السياسة البربرية للحماية الفرنسية في المغرب » .

- يعمل حاليا مدرسا لمادة الاجتماعيات بالتعليم الثانوي ، ويشرف على ادارة مجلة « الهدف » المتخصصة .

- عنوانه ص.ب. 132 سيدي سليمان ، اقليم القنيطرة .

الثمن: 12 درهم